إلى القارئ

في معنى الاصلاح المستقبلي

بقلم : البشير بن سلامة

إن ما يجرى فى تـونس من الاحداث المنجرة عن قرارات سياسية تتناول كل مجالات الحياة فى البلاد اقتصاديا واجتماعيا وثقافيـا تدعـو الى النظـر والدرس والتفكير العميق . لانها ليست قرارات ومواقف أملتهـا الظـروف وفرضتها الملابسات بل هى صادرة عن نسق فكرى متميز وعن رؤية فلسفية لها ملامحها الواضحة وغائية انتهجت منحى معينا لا تحيد عنه . وما القـرار الخاص بالتعددية السياسية القاضى بالسماح قانونيا لأحزاب أخرى بالقيـام بنشاطها السياسى الا علامة أخرى بارزة فى سيرورة هذا النسق الفكـرى الذى طبع الحياة السياسية فى تونس منذ نصف قرن .

واذا كان هذا النسق الفكرى ـ فى العمل السياسى بمعنـاه الاشمـل ـ بعيدا عن أن يكون ايديلوجية أو فلسفة أو مذهبا قائم الذات أو نظرية ذات أركان ثابتة فانه اتسم بتمسكه بجملـة من القيـم وبتمش مخصـوص أثبت جدواه ومكن البلاد التونسية من أن تحرز على استقلالها نتيجة لكفاح طويـل منظم متلائم مع الواقع وأتاح لها أن تبنى دولة سارت بالمجتمع التـونسى من حسن الى أحسن فى عدة مجالات .

وإن الدارسين لمجرى الامور عندنا وخاصة المنظرين فى الكليات الاجنبية والكتاب الذين تناولوا بالتحليل والتعليق الفترة المعاصرة من تاريخ البلاد

نعتوا هذا النسق الفكرى بالبورقيبية وعبروا بذلك عن خلاصة التجربة التونسية العميقة الجذور الثرية الابعاد التى جسمتها شخصية الحبيب بورقيبة وأعطتها ألقا متميزا وصيتا كبيرا .

وقد سارت الحكومة التونسية الحالية على هدي هذا النسق الفكرى وخطت بالبلاد خطوات شاسعة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ولا تزال تواصل هذا العمل الاصلاحى الثابت الذى يجب تمحيصه وتوضيح أسسه واستشفاف ابعاده وغاياته .

واذا كانت كل أعمال البشر ـ خاصة الذين يغيرون أحوال الناس والمجتمعات ـ تحدد تحديدا مضبوطا وتخضع لتسمية دقيقة فان هذه التجربة الثرية التى عرفتها تونس خلال نصف قرن يمكن أن تنعت بالاصلاح المستقبلى وهى تسمية لم ترد على الالسن بل لعل البعض يرى فيها تناقضا أو تجوزا لمعنى الاصلاح أو تقليصا للصفة الثورية التى تكتسيها هذه التجربة .

ولقد تحاشيت أن أسميها ثورة لانه تبين للعارفين جميعا وللذين تجاوزوا سن السادسة عشرة كما يقول الفيلسوف الفرنسى « آلان » : أن كسب الانسانية من الثورات نسبى وفى بعض الاحيان عكسى وأن « ثورة من الثورات تحقق فى يومين عمل قرن كامل وتخسر فى سنتين عمل خمسة قرون » (فاليري) وانه فى الواقع كما قال «دوهاميل» : « ليس هناك من ثورة حقيقية إلا الثورة الاخلاقية والباقى إنما هو بؤس ودم ذاهب سدى ودموع بلا جدوى » (الكفاح التحريرى من قبيل الثورة الاخلاقية والاديان كذلك لانها تركزت فى الواقع على الاخلاق) .

ثم إن المحلل لكلمة ثورة بالفرنسية (Révolution) (والواقع إن الثورة الفرنسية هى التى فتحت الباب لكل الثورات الحديثة) يجد أن معناها فى الاصل مرور فترة من الزمن ودورة من الدورات وأن علم الفلك يسمى رجوع كوكب من الكواكب الى نقطة انطلاقة ثورة (باللغة الفرنسية طبعا) وان اللغة

العربية لا تحمل كلمة ثورة أكثر من ذلك اذ هى مشتقة من ثار ، يثور وبعد الثوران يكون الهدوء والسكون .

لهذا فانه ليس من لغو القول ولا بالرجعية كما قد يسميها البعض ان ندعو الى أن تعزف البشرية عن مثل هذه الثورات وتنظر الى أحوالها نظرة أخرى تجنبها الاحن والحروب وتدفعها الى طريق الاصلاح كما قال سارتر : (وهو أمر غريب من فيلسوف كان دائما يدعو الى الثورة) : « إن اعداد اصلاح معناه النظر الى بلاده فى المستقبل » .

ولكن الاصلاح عندنا فى حضارتنا العربية الاسلامية اكتسى معنى آخر ما زلنا نجر رواسبه ومخلفاته اذ هو طبع بطابع السلفية بعد بوادر النهضة الاولى وأغرق العالم الاسلامى الى يومنا هذا فى القضايا التى نخرته طيلة القرون حتى فى عصور الازدهار والمنعة . وكأنه كتب على التمشى الاصلاحى أن يعود بالمجتمع العربى الاسلامى القهقرى وان يكرر غلطاته ويفتح الجدل فيما اضاع به السلف القيم السامية التى أتى بها الاسلام والتى يعنيها مالك بن أنس عندما قال : « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها » وهو لا يعنى أن يعود المسلمون الى ذلك الطور من الحياة ولا الى تلك القضايا الهامشية التى بعثت النحل الى الوجود والتى كانت تتمحور فى الواقع حول مسالة الحكم تلك القضية الكبرى التى لم يجرؤ الفقهاء على قول كلمتهم فيها وتركوا مبدأ الشورى مجرد كلمة تقال ولم يقترحوا لتطبيقها هيكلا واحدا ينظم الحكم على أساسه وبطبيعة الحال لم يناضلوا من أجله بل كان النضال فرديا مثاليا فيه تذكير وموعظة وارشاد فحسب .

نعم إذن للاصلاح وربطه بماضينا العريق وبقيمنا الاسلامية الخالدة بعد نسيان كل الجدل العقيم المرتبط بقضايا انهكت الامة العربية الاسلامية وجعلتها طعمة للغاصبين ومرتعا للانحطاط والجمود وللاسف إننا نشهد فى الساحة الاسلامية من يريد ان يجر الجميع الى هذه المهاترات معتقدا أن الخوض

فيما صنفه المصنفون فى العصور الاسلامية المتوالية من دون غربلته وتجاوزه هو طريق الصواب وهو الاسلام الصحيح .

نعم للاصلاح الذى ننطلق اليه من تراثنا وننهله من أصولنا وهـو عيـن الصواب اذ نحن نعلم أن فلاسفة أوربا أنفسهم يعيبون على مجتمعاتهم التنكر للاصول وليتفهم القارىء الكريم ما قاله كلـود لفـي ستـروس للافارقة فى استجواب أخير بمجلـة أسبـوعية تصـدر بالفرنسية فى باريس : « إنه لا يسعنى الا التعبير عن أمنية تتمثل فى تجنب الافارقة ارتكـاب ما ارتكبـه الاوروبيون من أخطاء ابتداء من سنة 1789 : وهو قطعهـم الصلـة بجذورهم التاريخية والتفكير فى المجتمع المثالى الذى يريدون بناءه انطلاقـا من تعـابير ايديلوجية . ألا إن الاستمرارية التاريخية أمر أساسى » .

نعم لهذا الاصلاح ولكن ليس بهذا المفهوم فقط بـل بالنظـرة المستقبليـة المتفاعلة مع الحاضر والمتلائمة مع ما يجد فى العـالم والمنصهـرة فى مجهـود البشرية من أجل مصير أفضل حرية وكرامة وسعادة وانتاجا وخلقا وإبداعا. (التجربة اليابانية جديرة بالتدبر والاعتبار) .

الاصلاح المسقبل اذن كفيل بأن يقود المجتمعات وخاصة المنتسبة الى العالم الثالث الى تطور معقول وان يخطو بها خطـوات تقـل فيها الكبـوات وتبني المستقبل لبنة لبنة به تزول الفـوارق شيئـا فشيئـا وينتفي بين الافراد والشعوب التعصب والعنصرية والعبودية والظلم والقهر والتجني .

البشير بن سلامة

ألفية ابن الجزار

بقلم : محمد مزالي

اسمحوا (*) لي بادىء ذى بدء أن أتقدم بالشكر الجزيل الى هذا الجمع الحافل الكريم الذى لبى الدعوة لحضور اعطاء اشارة الانطلاق لما سيقام ببلادنا خلال هذه السنة المدرسية والجامعية 1984/83 من احتفالات بمناسبة مرور الف سنة على وفاة أبى جعفر أحمد بن ابراهيم المعروف بابن الجزار .

ولقد أحسنت اللجنة الثقافية القومية صنعا عندما فكرت فى احياء هذه الذكرى وهى بذلك دلت على حيوية جديدة عرفتها اللجنة منذ سنة وبضع سنة عندما رجعت بدفع من وزارة الشؤون الثقافية الى الالتئام باعضاء لامعين من الجامعة التونسية ومن الخلاقين والمبدعين فتمكن رئيس اللجنة الدكتور محمد الطالبى الى استنباط أحسن الطرق للعمل الثقافى الجاد تصورا وتخطيطا وكان لتضافر الجهود فى هذه الذكرى أثره الاكبر فيما نؤمله من اشعاع لها وما نتمناه من نجاح اذ وجدت اللجنة الثقافية القومية المعونة والسند من وزارة التعليم العالى ووزارة الصحة العمومية ووزارة التربية القومية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومديرها العام الصديق الاعز الدكتور محيى الدين صابر واتحاد الكتاب التونسيين وغيرها من الهيئات والافراد .

ان فى تفضلكم بحضور هذا الافتتاح لمساهمة جليلة منكم فى تكريم علم من اعلام بلادنا الافذاذ ساهم بدور مرموق فى بناء الحضارة الانسانية ، وايمانا منكم بمنزلة العلم والعلماء فى هذه الربوع منذ أقدم العصور الى اليوم .

(*) نص الكلمة التى ألقاها الاستاذ محمد مزالى الوزير الاول بمناسبة انطلاق الاحتفال بألفية ابن الجزار بمدينة سوسة يوم الاثنين 24 أكتوبر 1983.

وان كان ابن الجزار قد عرفته القيروان واظلته وهى آنذاك عاصمة افريقية فان اشعاعه بالحضور عرفته مدن اخرى مثل سوسة التى تحتضن اليوم كلية من أرقى كليات الطب فى بلادنا فارتأينا أن ننطلق من هذه الكلية فى احيـاء الذكرى كمؤسسة طبية تشمل المؤسسات الاستشفائية للوسـط وخـاصة القيروان على أن نواصل الاحتفال بمدينة القيـروان نفسهـا فى مناسبـات متكـررة .

وان ابن الجزار الذى نحتفل بذكرى ألفيته ابن هذه الارض العـريقة فى الحضارة نشأة ومربى وتعلما ووفاة ، فقد ولد بالقيروان فى حـدود سنـة 285 هـ / 898 م أى فى نهاية العهد الاغلبى ، وليس من الصدفة أن يصبح ابن الجزار علما من اعلام المعرفة فى عصره ، فلقد كانت القيروان منارة من أهـم منارات الثقافة فى القرنين الثالث والرابع لا تقل قيمة عن أكبـر العـواصم الاسلامية المعاصرة ، ولم يتألق نجم القيروان فى ميدان الفقه واللغة والادب فحسب ، بل قد ازدهرت فيها العلوم الصحيحة ومن جملتها علـوم الطـب والصيدلة ، ان ابن الجزار عندما نشأ وجد مدرسة طبية قيروانيه مزدهـرة نذكر من اعلامها اسحاق بن عمران صاحب كتاب « الماليخوليا » فى الامراض العقلية ، واسحاق بن سليمان صاحب كتاب «الاغذية» وغيره من الرسائل فى الطب ، نشأ اذن ابن الجزار فى بيئة حضارية ملائمة فأخذ العلوم بها عن علماء اثروا بأقلامهم وأبحاثهم الحضارة العربية الاسلامية ، وتجاوزت شهرتهم حدود هذه الحضارة فاسهموا فى تشييد صرح المعرفة على مستـوى عـالمى ، وكانت عائلة ابن الجزار عائلة طبية ، فلقد كان أبوه كحالا مختصا فى أمراض العيون ، وكان عمه طبيبا من ألمع أطباء عصره ، فابن الجزار اذن وليد بيئتـه الحضارية ، وكان خير إفرازة لهذه البيئة ، اذ قد بلغت على يده المدرسة الطبية القيروانية ذروتها .

لقد عمر ابن الجزار ثمانين سنة ونيفا ، وتوفى فى حدود سنة 369هـ/980م ولنا فى حياته هذه الطويلة مثل يقتدى فلقد كرس كامل حياته للتأليف، والمعالجة والبحث عن أدوية جديدة ولم يقتصر على الطب والصيدلة بل كان ايضا حكيما وأديبا ومؤرخا ، وكان خاصة مثال العالم العامل بعلمـه ، متيـن الاتصـال بالمجتمع ، وبالفقراء على الخصوص . فلم يقصر همه على الاثرياء فقط ، بـل كانت له عناية خاصة بالفقراء ، ويمكن أن نعتبره ــ اذا ما نظرنا اليه من هذه الزاوية ــ رائدا من رواد الطب الاجتماعى فمن جملة مؤلفاته المعروفة ، وقد

بلغ عددها ثلاثة وأربعين كتابا ، كتاب « طب الفقراء » فهـو العـالم المفعـم انسانية الذى أراد عن وعى وروية ، وضع الطب فى خدمة البؤساء والمحرومين معتبرا أن التضامن الاجتماعى ومكافحة البؤس والألم والأخذ بيد المستضعفين واجب على العالم قبل غيره من الناس لانه يعتبر ممن عمر قلبه الايمان أكثر من غيره . والايمان الصحيح هو مفتاح العلم والاخلاق والسمو .

ولهذا تجاوزت مؤلفاته الرقعة الاسلامية ، فترجمت الى اليونانية واللاطينية والعبرية ، وساهمت بهذه الصورة فى انتشار المعرفة ، ومكافحة المرض وتوفير الصحة خارج حدود افريقية والعالم العربى الاسلامى ، وهكذا ساهمت بلادنا فى الحضارة الانسانية فى ميدان من أهم الميادين ، ونحـن اليـوم يحدونـا الطموح فى أن نربط الماضى بالحاضر ، وليس بعزيز على علمائنا وأساتـذة الطب فى بلادنا ، وعالمنا العربى الاسلامى بصفة أعم ، ان يستعيدوا المكـانة التى كانت لنا فى ايام ابن الجزار ، وابن سينا ، وابن زهـر واضـرابهـم من علماء حضارتنا الثرية بالعباقرة الذين خدموا الانسانية بادمغتهم واقلامهم، اننا عندما نحيى ذكرى ألفية ابن الجزار ، لا نحييها حنينا للماضى فقط وتغنيا بمجد مضى وتولى ، وانما نريد ، بعزيمة ثابتة خـالية من مركبـات النقص والغرور ، ان نزرع فى قلوب شبابنا التوق الى اقتحام البحث فى كل الميادين مؤمنين بأن لهم عقولا تؤهلهم الى الخلـق والاكتشاف والابـداع ، ان القـوة الحقيقية تكمن فى القدرة على اقتحام حصون المعرفة ولا يتأتى ذلك الا بالايمان الصادق والطموح الذكي والدأب الذى لا يني .

نعم لقد تبوأ ابن الجزار خلال القرن الرابع للهجرة (العاشر م) ، بما بذله من كد فى الدراسة والاستيعاب ـ وبعد ذلك من جهد فى البحث والتنقيب ـ المرتبة الاولى بين اعلام عصره ، وكان فى الضفة الغربية للعالـم الاسـلامى بمثابة الفارابى وابن سينا والبيرونى فى المشرق ، فقد درس مثلهـم علـم الاوائل من اغريق وفرس وهنود ، وهضم أقوالهم واستدرك عليها ما فاتهـم وانتقدهم عند الحاجة علاوة على ما استنبطته قـريحته ودلـت عليه تجـاربه وساقته اليه اختياراته وفطنته .

وفى الحقيقة ان من يستعرض ما وضعه ابن الجزار من مصنفات يتضح له ما كان لهذا النابغة من الثقافة الواسعة الافـق ومن قوة العـارضة ، حتى ان مصنفاته الطبية حازت من العناية فى القارة الاوروبية ما جعلها تتـرجم كمـا

قدمنا ـ وبعضها ترجم وهو على قيد الحياة ـ الى سائر اللغات العلمية المنتشرة في ذلك الوقت ، وتتخذ أصلا متينا للبحوث من لدن اطباء الافرنج في القرون الوسطى .

فليس احتفالنا بألفية ابن الجزار رجوعا الى الوراء لا طائل من ورائه بل هو التزام للجمع بين ماض مجيد وحاضر متفتح بين المعاصرة ان شئتم ، والوفاء لذاتيتنا العربية الاسلامية . ولحق مشروع لكل جيل ان ينطلق من حضارة وطنه ، ومن تراث اجياله ومن ابداع علمائه ليساهم في بناء صرح حضارة اليوم ، فيتأكد لمسيرتنا الثقافية امتدادها الزماني اللامتناهي واصالتها العريقة في الماضي الخالقة للمستقبل وتكون كالشجرة المباركة اصلها ثابت في الارض وفرعها الى السماء .

ان الاحتفال بابن الجزار ليس غاية في حد ذاته بقدر ما هو رمز لزكاء هذه التربة الطيبة : لقد كان لنا في الماضي سحنون في الفقه ، وابن الجزار في الطب ، وابن منظور في اللغة ، وابن خلدون في الاجتماع ، فليس بعزيز أن يكون لنا اليوم وغدا أمثالهم فهذه الارض المعطاء التي انجبت هؤلاء الافذاذ ، ستنجب غيرهم لانها لم تصبح عقيما ولن تصبح بحول الله .

والامر ، بيدنا اولا وآخرا فاذا كان رائدنا جدية البحث العلمي وعناؤه وسبيلنا ما تفرضه مناهج البحث من دقة وضبط وديدننا ازالة ما علق ببعض النفوس من رواسب عهود التخلف والانحطاط ، فلا بد اننا بالغون الغاية المرجوة . ألم تتحصل بلادنا ، منذ بضعة أشهر ، عن طريق ثلة من أطبائها الباحثين على جائزة عالمية تقدمت لنيلها عدة بلدان لها قدم راسخة في الميدان الطبي ؟ ألم يؤكد المجاهد الاكبر في عديد المناسبات أن قضيتنا وقضية كل الاخوة العرب هي قضية حضارية بالدرجة الاولى ؟ فلكي نكسب الرهان في ميدان التسابق العلمي والتكنلوجي من الواجب أن نفرض أنفسنا في عالم اليوم ، ونقف أمام التحديات التي تواجهنا من المناوئين والاعداء لا بالتحدي الرخيص والمواقف الهوجاء وانتفاخ الاوداج بالرغوة والزبد بل علينا ان نتمسك باسباب الرقي والتقدم وأن نأخذ بناصية العلوم ، كل العلوم والطب أحدها ولعله من اجلها واعظمها . ولكننا كذلك من واجبنا أن نسير على خطوات أفذاذنا القدامى مثل ابن الجزار ونتسلح بالايمان والاخلاق ونجعل

التضامن والرأفة والاخوة نصب أعيننا لان العلم لا يزكو بالمال فقط وبالوسائل الضخمة بل بالعزيمة أيضا ونحن والحمد لله ، قد وجدنا فى تونس سواء فى القديم أو الحديث هذه النخبة التى تكرس جهودها للعلم والايمان وتتفانى فى سبيل المجتمع نبل أخلاق ، ورسوخ وطنية ، وسعة أفق .

ولم يأل رئيس الدولة جهدا لتحقيق هذا الهدف السامى النبيل ، فقد احدث جائزة بورقيبة للعلوم الطبية التى تحصل عليها الى حد الآن ما لا يقل عن ثلاثة عشرة طبيبا مختصا من اقطار مغربنا العربى وستبقى هذه الجائزة رمزا لما توليه الحكومة من عناية فى سبيل البحث العلمى عامة والميدان الطبى خاصة .

كان المشعل الحضارى بيدنا فتسلمه غيرنا ، فلا أقل من أن نستضىء اليوم بنوره لتتضح السبل امامنا فنواجه تحديات العصر بعيون باصرة وعزائم ثابتة وعقول فاحصة . وتلك هى بداية السير فى الدرب الطويل الموصل حتما الى ساحل النجاة ، بعزيمة العلماء المؤمنين الصادقين وبعون الله ذى الحكمة والجلال .

محمد مزالي

من مؤلفات الاستاذ : محمد مزالى

★ **الديمقراطية .**

★ **من وحى الفكر .**

★ **مواقف .**

★ **دراسات .**

★ **فى دروب الفكر .**

موسم الأقحوان

قصة : جواد صيداوي

(الى الطافات المعتقلة في السجن العربي الكبير)

كلما وقع نظر الشيخ أمين العاقل على خولة الصفدية وهي تدب متمهلة وسط الشارع الرئيسي أو في أزقة الحي . بجسمها المكتنز ، تساءل بينه وبين نفسه كيف يتأتى لامرأة واحدة أن تجمع هذا القدر الهائل من الشحم واللحم ، ثم يغض من طرفه تعففا ويتابع سيره .

وكلما وصلت خولة الى دكان القصاب «رفعت وازن» لشراء حاجتها من اللحم ، يرتفع صوت رفعت وازن مرحبا ، ثم يضرب براحة يده فخذ البقرة المعلقة داخل دكانه ضربات متتالية وهو يقول :

ــ لحم يا لحم ، تبارك الخالق يا لحم !

وعندما يراها شرطي البلدية اسعد جبارة وهي تتاهب لاجتياز الشارع من رصيف الى رصيف ، ينفخ في صفارته متظاهرا بايقاف السيارات من جهتي الشارع ، حتى دون أن يكون هناك سيارات .

وتواصل خولة سيرها البطيء غير عابئة بالتعليقات العابثة ، ولا بالنظرات الطافحة بالدهشة ، ولا بالحركات الساخرة لانها اعتادت على ذلك كله والفته وقد ترد أحيانا ببعض الاجوبة المرحة عندما تكون رائقة المزاج أو ببعض الشتائم الرادعة لتخرس الالسنة المتمادية وهي تهش تارة وتعبس أخرى وتضحك ثالثة ، ثم تسأل هذا عن صحة زوجه ، وتهنىء ذاك على نجاح ابنه في المدرسة ، وتلوم آخر بسبب تقاعسه عن الزواج .

ويقسم الشيخ أمين العاقل اذا تناولها حديث المجتمعين أمام دكان أبو موسى ، بأن خولة كانت من أجمل صبايا البلدة وجها وارشقهن قواما وأعذبهن حديثا • وهي لا تزال تحتفظ ببعض الملامح الطفيفة من جمالها الذاهب على الرغم من اقترابها من سن الستين ومن هذه السمنة المفرطة التي ترهقها وتثقل حركاتها •

وبدأت حياتها تتغير تدريجيا منذ وفاة زوجها قبل عشر سنوات برصاصة طائشة أصابته اثناء احدى الجولات الانتخابية • وقد تزوج ابناؤها جميعهم باستثناء اصغرهم احمد لذلك تقضي وقتها بمساعدة جاراتها في أعمالهن المنزلية او تتردد على زيارة بناتها المتزوجات ، مستعينة بما يرسله اليها ابنها البكر المهاجر في افريقية من مساعدات مالية ، على قضاء حياة هادئة مستورة، تشتري حوائج المنزل بنفسها وترعى شؤون ابنها احمد مطمئنة الى بقائه معها باعتباره الامل الوحيد الذي يضيء وحدتها ويؤنس وحشتها • وعندما التحق احمد بصفوف الحركة الوطنية في الجنوب لم تعترض خولة ، ارضاء له ، على الرغم من خوفها عليه وتعلقها الشديد به •

ومع اشتداد الاوضاع سوءا خلال الحرب الاهلية وتصاعد الاعتداءات الاسرائيلية على الجنوب اللبناني ، اصبحت خولة قليلة الخروج من المنزل ، وازداد قلقها على ابنها خاصة عندما يغيب عن المنزل ولكن دون ان تجرؤ على محادثته فتكتفي بالدعاء الحار ، والتضرع الى الله لازالة هذه الغمة واعادة الامور الى سابق مسيرتها الهادئة المطمئنة •

ولكن الامور سارت على نحو مغاير لما كانت خولة تتمناه ، فالاعتداءات الاسرائيلية تحولت الى هجوم شامل ثم الى احتلال مقيم ، وعندما بلغها نبأ القبض على ابنها واقتياده معصوب العينين الى فلسطين المحتلة اصيبت بالانهيار ، واستبد بها هلع قاتل ، تردد باستمرار المراثي الشعبية الحزينة و «الندابيات» الكربلائية الباكية ، ولم تغادر منزلها الا بعد ما علمت بأن ابنها ما زال حيا وبأنه نقل مع رفاقه الى معتقل «أنصار» على مقربة من البلدة ، فحاولت مقابلته طوال الاسابيع الاولى من انشاء المعتقل ولكن بدون جدوى • وعندما سمحت سلطات الاحتلال بزيارة الاسرى ، لم تبال خولة وهي تحتضن ابنها من وراء الاسلاك الشائكة بالوخز الحاد الذي ادمى جسدها في اكثر من موضع •

وأصبحت كلمة «انصار» صلاتها الوحيدة فى الليل وفى النهار ، تحمل «حادى العيس» شوقها ولهفتها وقلقها ، وتهيب بالازهار البـرية ان تشـد بعطرها عزيمة المعتقلين . وغدا خروجها الى سوق البلدة نادرا ، وتغير سلوك أهل السوق نحوها اذا ما رأوها ، فخولة لم تعد خولة ، كأنهـا استبـدلت بامرأة أخرى . عندما يراها شرطى البلدية أسعد جبارة مقبلة يسرع اليها ليأخذ بذراعها ويساعدها على اجتياز الشارع وهو يسأل الله أن يزيل كربتها وكربة الجميع ، ويترك القصاب رفعت وازن زبائنه ليرحب بها ويقـدم لها الكرسى الوحيد فى دكانه قبل ان يلبى طلبها ، ويصرخ بها عبود القاضى صاحب دكان البقالة الا تصعد الدرجات الثلاث نحو دكانه المرتفع قليلا عـن الشارع ، ويقول لها بلهجة ودود :

ـ قولى ما حاجتك يا أم حسين .

ولدى عودتها الى المنزل ، وقبل ان تفتح الباب ، تنادى ابنة جيرانها سعاد، فاذا كانت سعاد فى المنزل وردت على ندائها ، تبادرها خولة بسؤال وحيد لا يتغير :

ـ ماذا تقول الجرايد اليوم يا بنتى ؟

« ماذا تقول الجرائد يا خالة ؟ لم يعد هناك جرائـد تقـول ، ولا اذاعـات تثرثر ، القول عاد الى أصحابه الحقيقيين ، وهم وحدهم سيعيدون البسمة الى عيون اطفالنا ، والامل الى النفوس الظامئة . ليس ابنك وحده هو المعتقـل يا خالة ، الوطن بأسره بين أنياب الغول ، فصبرا يا خالة ، أحمد اصبح يعد الآن بالمئات ، وقريبا سيعد بالالوف وعشرات الالوف ، انهم ينبتون كما ينبت الاقحوان البرى فى حقولنا وهضابنا دون عناية ولا رعاية ، لان الاقحوان البرى على موعد أبدى مع الربيع» .

وبصوت مسموع اجابت سعاد على سؤال خولة :

ـ الفرج بات قريبا يا خالتى ام حسين ، توكلى على الله ولا تخافى ..

خولة متوكلة دائما على الله ، ولكن ابنها ورفاق ابنها ما زالوا من اشهر طويلة فى المعتقل الاسرائيلى يعانون من حر الصيف وبرد الشتاء ويتحملون التعذيب والاذلال ، وبنادق العدو مصوبة الى صدورهم ، وهى أم ..

ـ ماذا تقول الجرايد اليوم يا حبيبتى ؟

«ثلاثة قتلى من جنود العدو قرب بيروت ، وأربعة قتلى فى العباسية ، ودبابات وسيارات تنسف فى الجبل وفى صيدا ، وكمائن فى الزهرانى والنبطية · وراء كل حجر فى الجنوب مقاتل ، وفى كل منعطف كمين ، وفى نظرة كل يافع طلقة ·· هذا ما تحاول الجرائد ان تقوله يا خالة ، ولكن الناس قلما يهتمون باقوال الجرائد ، بل اصبحوا ينصتون بشغف الى حديث البطولات ، ويتحملون بنشوة بطش العدو وانتقامه ، ويشاهدون الرعب الاسود فى عيون جنوده» ·

ـ لقد سمحوا للصليب الاحمر بزيارة الاسرى وتفقد احوالهم ، فاطمئنى يا أم حسين ·

ما أطول الليل على خولة ، لا سبيل الى الاطمئنان أبدا ، تحاول الغفو فلا تستطيع ، وتنطلق الهواجس من راسها لتتحول الى اشباح تملأ بفحيحها جو الغرفة ، فتوقد النور وتبسمل ، وتستجير بالله وملائكته وانبيائه ، «كيف ينام أحمد الآن ؟» · تلعن الشيطان وتطفىء النور ، وتحاول الغفو من جديد ، «ولكن أحمد عنيد يابس الرأس ، وقد يحاول الهرب من المعتقل كما حاول غيره فتطلق عليه النار · رحمتك يا رب» ، وتعود الى الجلوس فى فراشها وتوقد الضوء من جديد ، وتردد الادعية ، ولكن الهواجس السوداء تتكاثر ، فتستسلم رغما عنها الى نشيج صامت · ويخيل اليها ان الباب يطرق ، فترهف السمع ، ولكنها طرقات حقيقية ، فطارت افكارها الى «انصار» ، وانقبض صدرها ، فصرخت :

ـ مين ؟

ـ أنا يا خالتى أم حسين ، أنا سعاد ، افتحى الباب !

نسيت خولة سمنتها المفرطة واستعانت بيديها ورجليها على النهوض ، وعندما دخلت سعاد واغلقت الباب وراءها كانت تحمل كيسا من القماش يحتوى على شىء يبدو ثقيلا فسألتها خولة مرعوبة :

ـ عسى أن يكون الامر خيرا !

ـ لا شىء سوى الخير ، اقعدى وارتاحى ·

فجلست خولة على كنبة قديمة وهى تقول :

ـ من أين الراحة يا بنتى ، لقد خفت كثيرا عندما سمعت الطرق على الباب فى هذا الوقت ، ولكن الحمد لله على مجيئك لانى كدت أن اجن وحدى ٠

ـ سامحينى لانى أزعجتك ، الامر مهم وضرورى يا أم حسين ٠

ـ قولى يا حبيبتى قولى ، هل حدث شىء فى انصار ؟

ـ لا أبدا ٠٠ أريد منك فقط أن تنقلى هذا الكيس غدا صباحا الى دكان عبود القاضى ٠

ـ بعيونى يا بنتى بعيونى ، بكرة من أول الصبح يكون الكيس عند أبو على ٠

ـ هل تعرفين ماذا يحتوى ؟

ـ لا يهمنى معرفة ذلك ، المهم أن يصل الى دكان أبو على القاضى ٠٠

وابتسمت خولة فتقدمت سعاد منها تعانقها وهى دامعة العينين ، ثم رفعت راسها وقالت لها :

ـ لدى خبر آخر يا خالتى ام حسين ٠٠

حدقت خوله فى وجهها مستوضحة ، فمدت سعاد يدها اليمنى تريها خاتم الخطبة ، فتهلل وجه خوله وقالت :

ـ الى رفعت وازن بدون شك ؟

ـ بدون شك ، ان شاء الله تخطبين عن قريب لاحمد ٠

ـ الله يسمع منك يا بنتى ، مبروكة خطبتك ، رفعت وازن شاب طيب وابن عائلة كريمة ، تعالى لاقبلك تعالى ٠٠ وتعانقتا طويلا ، فلم تستطع خولة حبس دموعها ، فانسحبت سعاد من بين ذراعيها وهى تقول :

ـ يجب ان اذهب يا خالتى لان الفجر بات قريبا ٠٠ هل يجب ان اوصيك ثانية بالامانة يا ام حسين ؟

ـ طمنى بالك يا حبيبتى ، الامانة ستصل غدا صباحا ولـو كـان هنـاك خمسون دبابة فى الشارع ٠٠ أنا خولة الصفدية يا سعاد !

ابتسمت سعاد وشكرت خولة وانصرفت مودعة ٠

لم تستطع خولة نوما ، وبعد ان صلت الفجر والصبح ارتدت ثيابها وحملت الكيس وغادرت المنزل بخطواتها البطيئة ، وأمام الدرجات الثلاث الموصلة الى دكان عبود القاضي وقفت لاهثة ، فوجدت عبود القاضي مشغولا مع شابين يرتديان زيا عسكريا تعرف هوية لابسيه جيدا ، فأسقط فى يدها وخافت على عبود القاضي اكثر من خوفها على نفسها ٠ فكرت باستئناف سيرها البطيء قبل أن ينتبه الشابان او احدهما اليها ٠ ولكن أين تذهب بالكيس ؟ وماذا ستقول لسعاد ؟ وماذا سيقول أحمد اذا عرف بأن أمه كانت السبب فى فشل امر هام ؟ وفجأة صاحت :

ـ صباح الخير يا أبو علي ٠

ـ صباح النور يا أم حسين ، تفضلي ٠٠ ما هى حاجتك اليوم ؟

كيلو صابون أخضر وخمس علب سردين بزيت أصلي ٠

ـ بأمرك يا أم حسين ٠

ـ هل تصالحت مع زوجتك وعدت بها من بيت أهلها ؟

ـ لا والله يا ست أم حسين ، ولا أدرى ماذا أفعل بها ؟

ـ لا تدرى ماذا تفعل بها ؟ أهذا كلام رجال يا أبو علي ؟

اذهب اليها وقبل يدها وأعدها الى المنزل بأسرع وقت ، فاطمة جوهرة تساوى خمسين رجلا مثلك يا غشيم ٠٠

وقبل ان يجيب عبود القاضى على «تأنيب» خولة ، التفت اليها أحد الشابين وهو يغادر الدكان مع صاحبه ، وقال لها مبتسما :

ـ «اللى عند أهلو على مهلو» يا أم حسين ٠

لقد عرفته خولة ، انه محمود ابن الحاج عبد الله الشامى ، لقد تخلى اللعين عن سربه والتحق بجماعة العدو ٠ ثم صعدت الدرجات الثلاث متمهلة ووضعت الكيس فى احدى زوايا الدكان دون ان تنبس بكلمة ، ولكن دقات قلبها كانت مسموعة عبر طبقات الشحم واللحم ٠ وغادرت الدكان متوجهة الى السوق الداخلية دون أن تنتبه الى ان اسعد جبارة يقف على مسافة بضعة عشر مترا يراقب تحركاتها . وعندما اطمأن الى سير الامور على نحو مرض غادر مكانه وهو يطلق صوت صفارته لان سيارة توقفت على جانب الشارع الرئيسى امام

فرن الحاج حسن ، وبعد اقلاع السيارة أطلق أسعد جبارة صوت صفارته ثانية دون سبب ظاهر يستوجب ذلك ، ولكن ماجد طبال صاحب دكان «النوفوتية» غادر دكانه برفقة رجل يرتدي الزى القروى الجنوبى ، وتوقف عزيز الفهد عن اللعب بالنرد فوق رصيف مقهى «أبو هاشم» وأسرع معلم المدرسة أحمد رضوان الى سيارته الواقفة أمام مقر البلدية وابتعد بها شرقا ، وارتفع صوت على النمرى ، بائع الخضار ، بنغمة معينة :

ـ ولت ايامك يا فجل ٠٠ الكيلو بليرة يا فجل ٠

وبعد أن كرر نداءه ثانية خرج من فرن الحاج حسن شابان وهما يتبادلان الشتائم بصوت مرتفع ثم التحما وسط الشارع فى عراك شرس لفت جميع انظار من فى الشارع نحوهما ٠

فى هذه الاثناء كانت خولة قد وصلت الى دكان رفعت وازن واستقرت فوق الكرسى الوحيد داخل الدكان وهى تمسح العرق عن وجهها بطرف غطاء رأسها الابيض ، ورفعت وازن منصرف الى زبائنه وهو لا ينفك ينظر الى ساعته بين لحظة وأخرى ، ثم قال لخولة دون ان ينظر اليها :

ـ أهلا وسهلا يأم حسين ، خمس دقائق فقط واكون بتصرفك ٠٠

ـ تكون بتصرفى يا «ديوس» ؟ كيف تخطب سعاد دون ان تخبرنى ؟ هل اصبحت خولة آخر من يعلم فى الحى ؟

ـ الخطبة لا قيمة لها يا أم حسين ٠٠ المهم العرس ٠٠ العرس يا أم حسين ٠٠ العرس ٠٠

ثم بصوت مرتفع كأنه موجه الى جميع من فى السوق :

ـ ٠٠٠ المهم العرس يا شباب ٠٠ عرس الجنوب يا شباب ٠٠ عرس الوطن يا ٠٠٠ لحم ، اليوم «أوكازيون» يا لحم ، الكيلو بعشر ليرات يا لحم ٠٠

٠٠ يا تينة بالدار ناطورك أسد ٠٠ »

ولم يكمل رفعت وازن مواله لان الانفجار دوى كانفلاق الرعد ، فمسحت خولة بطرف منديلها الابيض دمعة ساخنة تدحرجت فوق خدها وهى تتحرق للعودة الى المنزل لتعانق سعاد وتسألها عن أخبار الجرائد ٠

جواد صيداوى

تموز (يوليو) ـ بيروت

لاجدار سوى الرمح !

شعر: الحبيب الهمامي

تماديتُ في السير
داخلَ هذي القصيدةِ
لم تكن الريحُ داخلة في شؤوني
ولكنني المتدخل في شأنها
لأباشرَ موتي بنفسي
تماديتُ في السيرِ
أجتر حلما مَضَى
وحبا تداولني وانقضى
ففي أيِّ موتٍ سأشربُ آخر كأسي ؟
ويهملني تعبي ...
وأُخرِجُني عن نطاقي
لكي يستفيق خرابي تماما
ويسقط رأسي

(2)

أُشجعني داخليا
على الإحتفال بوجهي الذي يستضيف
الغموض
أمامي القصيدة
قد فتحتْ بدأها
أغلقتْ شرفة الإنتهاءِ المريحْ
وخلفي كلابُ المقاهي
يُريقون سربَ النباح
على خطوتي
أنا المتدلي من الضوء
عُنقود شعر
مررْتُ بكل المشانق
جربتُ هذا الزمان الرصاصيَّ برقا..
ورَعدا وريحْ
ولَنْ أنتهي
إنما هكذا أستريحْ

(3)

تماديتُ في الإتكاءِ على الرمح

إذْ لا جدار سواهْ
وأنتِ أيا امرأة جرّبتها التجاربُ
أنفقتِ العمر
ما بين آهٍ وآهْ
لماذا تُعيدينك الآن فيَّ
ولَسْتُ المَرايا
لتختبريك بواسطتي
فأنا شاعر
تتشهّى النجوم خطاهْ

(4)

أيا أصدقائي الكثيرين في موسم
الأخذ
أنتم قليلون إن حان فصل العطاءْ
خرابٌ عليكمْ
ومنْ شاءَ أن يُشعل الإنتقامْ
فإني هنا
واقف في مقدمة الشعراءْ

(5)

سأجمعُني
وأمرّ على آخري
أطلبُ الإنضمام إليهِ
فشكرا لماض مضى
وشكرا لمستقبل كاللظى
وشكرا لوجهي الذي يتغير حسبَ
الحروبْ
وحسبَ الرياحْ
وشكلِ الهبوبْ
وشكرا لمن نخروا خطوتي ..
لكيْ يُسقطوا جبهتي .

الحبيب الهمامي

ننشر فى العدد القادم الجزء الثانى من

دراسـة رشـيد الـذوادى

قراءات فى فكر وأدب الكاتب التونسى : محمد مزالى

رأي في معنى الثقافة وتقويمها

بقلم : د. محمد فاضل الجمالي

تستعمل كلمة ثقافة فى عصرنا هذا فى عدة معان بعضها خاص والبعض الآخر عام :

(١) فحين نصف انسانا بأنه مثقف نعني انه نال قسطا من العلوم والآداب وهو يمتاز عن الشخص الذى لم يسعفه الحظ ولم يتعلم العلوم والآداب .

(٢) وحين نقول : إن فلانا ثقافته علمية ، والآخر ثقافته قانونية ، والثالث ثقافته أدبية فنحن نستعمل كلمة ثقافة بمعنى الاختصاص اى ان اختصاص الفرد هو فى العلم المضبوط أو القانون أو الادب .

(3) وحين نتحدث عن وزارة **الثقافة** اليوم فنحن نقصد الوزارة التى تعنى بكل ما يغذى النفس ويسمو بها على الحياة الرتيبة ويعدها لمجابهة الحياة بنشاط متزايد وحيوية متجددة . فالموسيقى والتمثيل والشعر والقصة والتصوير والسنما والغذاء الفكرى الذى يرتفع بمستوى الانسان ويحقق له انسانيته هى بعض ما تتعهده وزارة الثقافة . فكلمة ثقافة هنا لها مدلول خاص يدل عليه نشاط وزارة الثقافة .

(4) وفى علم الانسان « الانثربلوجى » تستعمل كلمة « ثقافة » مقابل كلمة «**Kultur**» الالمانية بمعنى شامل يتضمن كل ما توصل اليه الانسان من خبرات ووسائل واساليب مادية كانت أو معنوية نتيجة لتفاعله مع بيئته الطبيعية والاجتماعية . فوسائل وأساليب المعيشة والانتاج وطرق ادامة الحياة والدفاع عن النفس والتعبد والتعبير عن الافراح والاحزان والاساطير والمعتقدات وكل ما تشتمل عليه محتويات الحياة فردية كانت أو جماعية تدخل فى نطاق الثقافة بالمعنى الانثربلوجى . فاستعمال الانسان للآلة واستخدامه الحيوانات والنباتات لادامة حياته وتنظيم العلاقات الاجتماعية عائلية كانت ام قبلية ام دولية وانواع التقاليد والآداب ووسائل الغذاء والعلاج وقواعد الحروب وفض المنازعات كلها تدخل فى حيز الثقافة بالمعنى الانثربلوجى الشامل . فالثقافة بالمعنى الانثربلوجى لا تقتصر على الفنون الجميلة والآداب فحسب بل تشتمل ايضا على العلوم والفلسفات والاديان

واساليب الصناعة والزراعة وحفظ الصحة والمواصلات وما تتطلبه من مهارات وتنظيمات اجتماعية واقتصادية وسياسية • فكل هذه تكون مجتمعة **ثقافة الامة وثقافة الشعب** • فالمعنى الانثربلوجي للثقافة واسع وشامل سعة الحياة وشمولها •

(5) إن ما نقترحه (وهو ما يعبر عن وجهة نظرنا التربوية) هو الأخذ بالشمول الانثربلوجي لمدلول كلمة « ثقافة » على ان يخضع المحتوى الثقافي لمعايير ثلاثة هي :

الحذق والابداع والسمو . فكل عنصر ثقافي انثربلوجي يتصف **بالحذق وبالابداع وبالسمو** هو ثقافي حقا والا فلا •

فالطباخ يكون مثقفا اذا كان طبخه يمتاز بالحذق والابداع والسمو (بأن يكون الاكل نافعا وصحيا) • والشاعر يكون مثقفا اذا كان شعره يتصف بالحذق والابداع والسمو • فهذه المعايير الثلاثة تنطبق على كل نواحي الحياة مادية كانت أو معنوية ، فكرية أو يدوية ، موضوعية كانت أو ذاتية . فكل انتاج بشري يخضع للمعايير الثلاثة هذه : الحذق والابداع والسمو • فان اتصف بها فهو ثقافي والا فلا .

وبالحذق نعني المهارة والاتقان والدقة واحترام الاصول الفنية والقواعد الاساسية للعمل الثقافي • والحذق يشتمل على الصدق والاصالة في الوقت نفسه • والحذق هذا يتطلب مراسا طويلا ومجهودا شاقا باشراف أساتذة ماهرين وقدوة حسنة • فمن يريد ان يتعلم فنا او يكتسب مهارة في صنعة او علم عليه ان يبحث عن أستاذ ماهر يعلمه الاصول ويسدد خطاه حتى يتقن مادته • فالموسيقار البارع والجراح الماهر يصبح قدوة للطالب ويصدق الامر على الشاعر او العالم •

والمعيار الثاني هو **الابداع** : وهو الموهبة الخلاقة في الانسان . فالانسان السوي يمل الرتابة والنمطية ويرغب في التجديد وابراز الشخصية • والابداع قد يأتي تلقائيا في ظروف مؤاتية • وليس الابداع الاتيان بشيء من لا شيء • بل هو ثمرة خيال خصب وفكر ثاقب يتفاعلان مع ما هو موجود في البيئة فيكتشفان صيغة جديدة في الحياة او يعيدان بناء صيغة قائمة فيجددان كيانها • لا شك في أن الافراد يختلفون من حيث قابلياتهم ومواهبهم في الابداع والتجديد • فالاكثرية الساحقة من الناس تعيش في النمطية والرتابة في معظم نواحي الحياة •

ان الحاذقين المبدعين هم قلة نادرة في كل مجتمع • وواجب المربين ان يبحثوا عن المبدعين ويبرزوهم • وواجب الدولة ان ترعاهم وتهيء لهم الفرص

ليقدموا لامتهم مما يحملونه من ثمار عبقرياتهم · ان لكل انسان قابلية ابداع تعظم او تصغر وواجب المربي اكتشاف هذه القابلية وتنميتها واستثمارها في كل فرد · وذلك الى أقصى حد ممكن · فبالابداع والتجديد تنمو ثقافة الامة وتزدهر ·

المعيار الثالث هو السمو وتحقيق الخير العام · فكل نتاج ثقافي ينبغي ان يستهدف الخير العام ويسمو بالانسان الى الاعلى · فالحذق والابداع وحدهما لا يكفيان اذ قد يتحقق حذق وابداع في افعال شريرة · فالسارق قد يكون حاذقا ومبدعا في السطو على البيوت أو سرقة السيارات ولا يجوز ان ننعت عمل السارق بالثقافة اذن فلا بد من المعيار الثالث اعني به السمو وتحقيق الخير العام ·

ولنضرب مثلا على ذلك الاداء الموسيقي . فقد يكون الاداء ثمرة حذق وابداع في التاليف والايقاع ولكنها اي الموسيقى لا تكون مثقفة الا متى ارتفعت بالانسان وغذت مشاعره النبيلة · أما اذا كانت من النوع المخدر او اليائس او الماجن فلا نعتبرها مثقفة · وما يقال عن الموسيقى يصدق على كل انتاج فني او فكري او مهني او يدوي · فالمطلوب في الانتاج الثقافي ان يكون ثمرة حذق وصدق واتقان ثم ان يحتوي على طرافة وابداع فلا يجوز ان يكون عمل نقل او سرقة مما انجزه آخرون · ثم ان يرتفع بالفرد والجماعة الموجهة اليهم نحو الخير والى الاعلى · وربما كان حقلا الرياضة البدنية والخدمة الاجتماعية من افضل ما يجسمان مبدأ السمو هذا في ثقافتنا · فالمطلوب في لعب الكرة مثلا الحذق والابداع ولكن الاهم من الحذق والابداع هي الاخلاق الرياضية وحب الخير في الخدمة الاجتماعية · وقد يتساءل البعض عن معنى السمو والخير الذي نريد · الجواب هو ان السمو الذي نريد هو ما يؤدي الى تقوية الفرد والمجتمع فكل ما يؤدي الى الصحة الجسدية للافراد والجماعة وكل ما يقوي الروابط الانسانية في البيت وفي المجتمع وبين الشعوب وكل ما ينمي العواطف النبيلة · وكل ما يغذي الحياة الروحية والاخلاقية فيربط الفرد باسرته ومجتمعه وأمته وخالقه هو من دلائل السمو وبالعكس فكل ما يؤدي الى المرض والى الضعف والانحلال هو لا ثقافي ·

ولذلك فبعض الانتاج الذي يدعي الانتساب الى الثقافة هو ابعد ما يكون عن الثقافة · وذلك لانه قد يكون من النوع الضار لحياة الامة او المضعف لكيانها في بعض الحالات .

الخلاصة والاقتراحات :

انه لمن الامور المنعشة والسارة حقا ان تعنى شعوبنا وحكوماتنا عناية بالغة بالامور الثقافية هذه الايام • فالى جانب احداث وزارة ثقافة فى العديد من البلاد العربية نشاهد نهضة مباركة فى انشاء النوادى والجمعيات واصدار الكتب والمجلات والصحف في الشؤون الثقافية.وما نقترحه في هذا الصدد هو :

(أ) ان تتسع نظرتنا وفكرتنا عن الثقافة فلا تقتصر على الشعر والقصة والرواية والسنما والموسيقى بل تشمل الانتاج والابداع فى العلوم الانسانية والعلوم المضبوطة كافة كما تشمل المهارات فى الصناعة والزراعة والهندسة والطب والصحافة الى غير ذلك •

(ب) ان نسعى لجعل انتاجنا الثقافى نابعا من حضارتنا متصلا بحياتنا • وهذا ما يتطلب الحذق والابداع • فقد ينخدع البعض فيحسبون تقليد الاجنبى تقليدا سطحيا هو ابداع • فالكثير مما يدعى بالفن الحديث او الادب الحديث فى بلادنا هو بضاعة مستوردة نحن فى غنى عنها • فقد قام صاحبها بتقليد أديب غريب ينتمى الى ثقافة اخرى.وليس أدل على التقليد الذى منيت به ثقافتنا من زج كلمات اجنبية فى لغتنا مع توفر ما يقابلها بالعربية بصورة ادق وافصح • أذكر على سبيل المثال كلمات : بيداغوجية ، ديماغوجية ، ايديلوجية ، استراتيجية كوادر وما شابهها . فقد يعتبر البعض ممن يستعملون هذه الكلمات ان فى استعمالها ابداع • والحقيقة انه تقليد وليس ابداع • ولو توفر لديهم حب الابداع لابدعوا فى لغتهم الام •

(ج) ان حب الابداع والخلق فى الثقافة يتطلب العناية والتشجيع المستمر • ولكن الابداع يكون واهيا ما لم يستند الى الحذق . فالكتاب والشعراء والفنانون قد يحتاجون الى الحذق والى اتقان القواعد والاصول فى ممارسة الابداع . وهلأنا أذكر بعض الامثلة من خبراتى الشخصية :

أزور بلدة نابل بين الحين والآخر لاطلع على نواحى الابداع فى صناعة الخزف • الابداع متوفر ولا شك • ولكنى طالما نصحت بعض المنتجين بأن يعملوا على تحسين الخط العربى الذى ينقش على الخزف •

أنا من المولعين بالاستماع الى الالحان المنعشة فى الموسيقى الالحان التى ترتفع بالنفس الى الاعالى • ولكنى أنصح الشبان المستجدين بعدم تقليد الموسيقى التى تمثل الميوعة والتخنث او التى تبعث اليأس والبؤس فى النفوس . أنا أحب الشعر وانتعش بتلاوة قصيدة بديعة تغذى العواطف وتستثير الهمم وتوقظ الضمير • ولكنى ماذا أفعل بشعر ركيك لا أفهمه ولا

يحرك عاطفتي . أتساءل أين أحمد شوقي اليوم فقد هبط الانسان على سطح القمر ؟ ولم أقرأ قصيدة تسجل هذا الحادث وكنت حفظت أبيات شوقي يوم استخدم الغرب الطيران وكنت طفلا انذاك :

قم سليمان بساط الارض قاما ملك الغرب من الجو الزماما
حين ضاق البر والبحر بهم أجموا الريح فساموها اللجاما

وكان عمرو بن كلثوم قد سبق شوقي حين قال في معلقته :

ملأنا البر حتى ضاق عنا وماء البحر نملؤه سفينا

فكل من الشاعرين عمرو وشوقي يتطلع الى السمو والرقي ويمثل الدعوة الى النهوض والقوة ! وترك اليأس والبكاء والاستكانة .

(د) نحن في حاجة الى اعادة نظرة جذرية في شؤوننا الثقافية يعهد أمرها الى **مجلس ثقافي** يضم أبرز العناصر التي عرفت **بالحذق والابداع والسمو** في حياتنا الثقافية . هذا «المجلس» او «المجمع» يتولى تخطيط السياسة الثقافية للامة العربية بل وللعالم الاسلامي من مشرقه الى مغربه .

(هـ) الثقافة والتربية متلازمتان . فلا ثقافة بدون تربية . فالتربية هي العامل الاساسي في تنمية الثقافة ونشرها بين الناس . فمن الضروري اذن ان تصبح تربيتنا مثقفة (بكسر القاف) في البيت وفي المدرسة وفي البيئة الثالثة . وهذا يتطلب انتصبح الحذق والابداع والسمو فيمقدمة اهدافنا التربوية

(و) ان نظرتنا هذه الى الثقافة قد تكون نظرة موضوعية ظاهرية سطحية على الاكثر . أما النظرة الذاتية العميقة الى الثقافة فانها تتطلب الغوص في نفس الانسان وتحقيق ثقافة الضمير والفكر والوجدان وغرس الايمان . والثقافة العميقة الذاتية هي في نظرنا الاساس الذي ينبغي ان تقوم عليه الثقافة الظاهرية الموضوعية . وبتوحيد الظاهر والباطن والانسجام بينهما يعيش الانسان عيشة هانئة ومطمئنة وهو ما نرجوه لامتنا ولبني الانسان في كل مكان .

وبعد فهذه آراء شخصية في الثقافة وتقييمها معروضة للحوار والنقاش الحر بكل صدق وترحاب . والله الهادي للصواب !

د. محمد فاضل الجمالي
زوريخ – سويسرة
1983 / 7 / 4

ظــل القلبــ ..

شعر : الهادي نعمان

يُظللني قلبي منَ الخوفِ والرّعْبِ   فيحمي كياني من مباغتة الخطبِ
فَأرْنُو إلى سائم الحياةِ يَهزّنِي   وُجُود من الأحلام في غاية الرحبِ
أُغني به شعري وأنشُدُ راحتِي   فأنسى صعابا كمْ تبعثرْنَ في دربي!
وُجُودي أضحي كتلة منْ عزيمةٍ   أشق بها الآفاق في عالم الغيْبِ
تكشفتِ الأنوارُ بعْدَ سَحَائِبٍ   من اليأس في دربي الممزق..في قلبي
إلى أن أتت بشرى من الظل في الضحى   فكان ليَ الفجر المقدس في الحبّ
فأحببتُ في فجري الحياة جميلة   فهزت كيانا صاغه الوجد من لبي
أناجيك يا أبهى سناءً من الضحى   فألقاك ترعاني نشيدا من الربّ
حنانيكِ يا قلبي تحيةَ شاعرٍ   أحبَّ العُلا شعرا ومازال في الركب
يغني إلى الأحلام في صبواتها   نشيد افتخار في انتصار على الرعب

* * *

هنيئا لقلبي قد وجدتُ حقيقتِي   وباعدتُ وهما كان يفتك بالصب
فلستُ براءٍ بعدَ يومِي تجهما   ولستُ بشاك ان في صحوتي حبي
صحوت من الأوهام بعد تبعثر   لقلبي وكم جربتُ منْ زعزعٍ نكب!
إلى أن بدا ظل الفؤاد مباركي   فأسلمتُ نفسي للسلام من الخطبِ

* * *

يُظللني قلبِي فيا فرحة المنى !   بحبّ جديد في السلامةِ والخصبِ

وجدتُ به نفسي وقرّ قرارها   إلى أن تعيش الدهر في جنةٍ تُسبي

* * *

يُظللني قلبي فأبصُرَ بالمُنى   عرائس تحدوني إلى المجد في صحبي
وما الصحبُ إلا ما أرى من أخوة   أشقّاء روحي جئن من منهل عذب
لنشربَ جمعا ما تجودُ به المنى   من الحبّ والإخلاص للجوهر اللب
يُظللني قلبي فأشدُو مع المنى   عرائس أمجادٍ رؤاها رؤى قلبي
تحققتِ الآمال في فجر صحوتي   وأفعمني التاريخُ من بعد ما جدبِ
وأيقظني الإنسان في قلبي الذي   غدا لي ظلالا شادياتٍ معَ الحبّ
فقلتُ لنفسي قد يعودُ أخو الحجا   إلى نعم الآمال حيثُ الحجا يصبي
فيفتنّ بالمعراج في سدرةِ النهى   فيحيا حياة دون زيف ولا نهب

الهادي نعمان

ولا يوم الطين ..؟

بقلم: د. جعفر ماجد

المعتمد بن عباد شاعر اندلسى مغمور لا يعرفه الناس مثلما يعرفون أبا فراس الحمدانى بالرغم من أن الشاعرين اشتركا فى الامارة وقول الشعر فى الاسر ، وبالرغم من النهاية الاليمة لحياة المعتمد وما فى هذه الحياة من تداخل الالوان وتعاقب الاحوال وما فيها من عجائب الصور وغرائب العبر ٠

يروى ان الامير محمد بن عباد ـ وهو اسم المعتمد قبل توليه حكم اشبيلية ـ كان يتجول مع الشاعر ابن عمار فى متنزهات قرطبة فركبا فى النهر ، ونظر المعتمد واذا الريح قد خددت وجه الماء فارتجل قائلا :

نسج الريح على الماء زرد

وأرتج على ابن عمار فلم يجد بقية البيت ، واذا بصوت امرأة يواصل القول:

أى درع لقتال لو جمد

والتفت الامير فرأى بين الغسالات امرأة من أجمل النساء ، فهام بها وخطبها وتزوجها وعاشت حظية عنده وأنجبت له أولاده ٠ وهى «اعتماد الرميكية» التى كانت تعرف بالسيدة الكبرى ٠

وكان من حب الامير بن عباد لهذه الجارية ان تسمى باسمها لما خلف اباه المعتضد على عرش اشبيلية فتسمى المعتمد وقال فيها الشعر وتوسل وتذلل ، ويحكى انه من فرط حبه لها رآها ذات يوم حزينة كئيبة لانها اشتاقت منظر الثلوج على الجبال المحيطة بقرطبة فأمر أن تغرس حول القصر أشجار اللوز حتى يعوض نورها ذلك البياض الذى كان للثلج وترتاح اعتماد الى رؤية هذا البياض ، ودخل عليها يوما آخر فرآها تبكى فى صمت ولم تستطع أن تخفى عنه ما بها من غم ، وسألها فاذا بها رأت من شرفة القصر بدويات

يحملن جرارهن وهن يمشين حافيات في الطين ويملأن الجو مرحا وغناء، فحنت الى حياتها الاولى واسفت على أن لم تكن بين تلك الصبايا فأمر المعتمد فسحقت الطيوب وذرت فى ساحة القصر ثم نصبت الغرابيل وصب ماء الورد على الطيوب وعجنت بالايدى حتى عادت كالطين وخاضته مع جواريها ، وعرف ذلك اليوم فى تاريخ الاندلس بيوم الطين ٠

ولما عزل المعتمد وأخذه يوسف بن تاشفين من قصر اشبيلية الى سجن أغمات ، كانت اعتماد الى جنبه فى السجن تغزل الصوف ، فضاقت بحياتها فى الاسر وغاضبت زوجها ولامته على ما جرها اليه من الشقاء والبؤس ، واقسمت أنها لم تر منه خيرا قط فقال المعتمد قولته المشهورة : ولا يوم الطين ؟

لا شك أنا نظلم المرأة لو جعلناها وحدها مسؤولة عما أودع الله فى الخليقة من العقوق ونكران الصحبة ٠٠ الا ان ما يميزها عن الرجل ان المرأة قصيرة الذاكرة ان تعلق الامر بالنعمة وكان لها حقا فى الدلال والاستمتاع لا تقبل فيه التذكير والمن ، ولكنها ، خلافا للرجل ، لا تنسى ايام الشدة ، ومن عرفك ايام الشدة اولى بذكرك ممن عرفك ايام الرخاء . ولم تنس اعتماد يوم الطين الا لانه يوم الطيب ، ولو كان يوم الوحل لما نسيته ولنفخت فى زوجها روح الجلد والصبر ٠ ان أعظم النساء فى حياة الرجال لسن اولئك اللاتى جاءت بهن انسام الفجر فى مواكب القوة والجاه ، بل اللاتى وقفن وراءهم فى قلب العاصفة يلهمنهم ثقة بالنفس وأملا فى الفوز ويرتلن لهم أناشيد المجد ٠ أولئك تصفو قلوبهن بالمحنة كما يصقل الذهب بالنار !

لقد كانت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ذات شرف ومال ولكن النبيء عليه السلام لم يكن يذكر شيئا من ذلك ، على ما أنعم الله به عليه من فضل هذه المرأة ، بل كان يذكر وقوفها الى جانبه تثبته وتقويه وتهون عليه أمر الناس ٠

أما الرجال فما أكثر أيام الطين فى حياتهم ! الا أنه طين لا تسحق فيه العطور ولا يمزج بماء الورد ! انه وحل يفقد المرء حريته فى الحركة ويثقل خطوه حتى يألف هذا النوع من المشى ٠٠ وحل لا تصنعه لهم أيدى النساء بل يصنعونه هم بأيديهم !

د٠ جعفر ماجد

نستلهم النار .. ولا نتهرشم (*)

شعر: الصادق شرف
(أبو وجدان)

نهدر الخطا .. ونقر الصواب ..
ونعيد العملية من جديد لنصنع
الجواب .

لكلّ الذين توغّلني الحلمُ فيهم ..
وعادَ يصادرُ ساقيه مني ..
لخمس سواحلِ في المغرب العربي ..
أفتّح جُرْحي .
وأعلن بوْحِي :
— « أنا المتدفق منكم وفيكمْ دِمائي
تشق فضاء الحدود أمامي ورائي
تدق حواجز .. ما
كنت أحسبُ أنّ دمائي تدقّ .
يشق التدفق مني ..
طرائق للقادمينْ . »
وها أعلنَ القادمون لهذا الذي
انشقّ شعبا ..
ودق على باب أحلامنا
بالتواصلِ :
— « ما بيننا والمراحلِ ..
— عبر المفاصلِ —
جلّ الفواصلِ .. قامَتْ ،
ولا جلّها .. كلّها .
كلُّها تتَمَعْوَلُ .. تهجمُ ..
تهدمُ .
تهرب عنها الجبال مناورة للصمودْ ..
فتحسبُ أنّ الهروبَ ممارسة للفرارْ ؛
ولكن .. جميعُ المعاول تصْعَقُ
حينَ الجبالُ تعودْ ..

(*) نتهرشم : فعل منحوت من اسم المدينة اليبانية المضروبة «هيروشيما» .

لتصعدَ ؛ إن الصعود على الهادمات ؛
وَغيْرَهُ
ليس صعـودا .
وكلّ الذين أناخُوا معاولهمْ
في تـواريخنـا
همْ سدودٌ أقاموا سدُودًا !
تخلّلهم طمئُنا ..
فـاستفـاقوا .. وظلّ الذي
منهمُ اعوجّ أكثرمن قوس حزْنٍ ..
هُـوَ الإرتمـاء
ولاَ هدْمَ .. كالارتمـاء
من الرأس للقدمين على القدَمين
سوى قلَمٍ كـالشراعْ ..
ظلاله تُدْمي الرّقَـاعْ ..
ومـا إن
تَفصّمَهُ الحبرُ عَنْ ظلِّه ،
من الزند حتّى رأيناه يعوجّ عنْ
قوله ..
هو الحبْرُ عيْنٌ نرى الخطباء بها
وبالخطباء أياعين إيـاك أن تأبهي
فمن كان في البوقِ فـارس قول ..
نرى القول في الركح يفعل دوما به ،
هُمُ الشعراءُ همـومي !
وحين أجاهرهم بالتصحّرُ منهُمْ ..
برُودةُ غيري تجاهرني بالضغينهْ .
وما بينَ كلّ الصحارَى فحولاً ..
ودفْءُ تَخَرَّبُه البردُ .. تنأَى
المسافـاتُ بين الصّدَى والسكينهْ » .
وجئتُ أداهم رحل المسافاتِ .. ما
بينَ ختْمِ الرّحيـلِ ..
وبَدْءِ الدّخيـلِ ..
مسافةُ قرنٍ منَ الحزن ، ثُمّ
تواريخ كلّ الحروب على بعدها ؛
وأقصرهـا ..
كـان ما بين فكّ الزنُودِ ..
وقدحِ النُّهُـودِ .. لمَنْ
يقفُ الآن بينَ الدّجى والضياء ،
يقلّص فينا المسافات ..
فالبعدُ عنه خروجُ سمـائي
عن الظلّ للشمْسِ ؛
والبعد منه وُلُوجُ انتمـائي
لأول غيهبِ شمسٍ ..
بـآخرِ كوكبِ ظلْ
لوجهكَ نرْتفعُ الكلُّ ...
نبلغُ منكَ الجبينَ قضايا
ونكتبُ كلّ الحروف عليه . ونلغي
المـرايـا
لأنّك ليستَ المرادَ بما قد كتبنا ،

ولكنْ لغيركَ ما قد كتبنَا ..
وليسَ لوجهك غير الحدوثِ. الحدوثُ
من الكبت يصنعُ منك الصّبابهْ
لتهتفَ في قسماتكَ منّا الكتابه :
ـ « أرى وابلَ القحط تحت السحابه
يجيءُ من الرعد بالخطفِ يمضي ..
منَ البرق بالقصْفِ يأتي
هو القصفُ عقم المدائح..لم يبقَ منه
سوى بعض أسئلة الضاحكينْ .. »
وأصنعُ ـ لا بارتيابي ـ جوابي :
وإن سألوني حضوراً بمعنى غيابي :
أردّ عليهم
ـ « أنا لا أغيبُ لأغتابَ غيري
بغيرِ الإجابَهْ !
ولا شيء يفصلُ بينَ لساني ..
وقولكَ ـ يا غيرُ ـ
غيرُ انتمائِكَ للشفتينِ ..
وغير امتلائي بزندين .. حتى
إذا ما سرت فيهما الرعشة الخائفهْ .
سرى العشق بي لهما ؛
حضَرْتُ لأحضُنَ زندينِ ترتعشانِ
ارتعاشا مخيفا ..
على أن أسيِّدَ حلْماً لطيفا ..
أفيقُ فأصْعَقُ وَحْدِي » .
أجيءُ لأصعقَ بالعشق ملتحما ..
بارتعاشةِ شوق الفراشة صوبَ اللهبْ
وأَصعق بالعشق ملتحفا ..!
بارتعاشة غصنٍ تعاتبه الريح بالهمهماتْ
ويرفضُ أن ينتمي للحطبْ .
وأصعق بالعشق مندَهشا ..
لارتعاشة طفلٍ يهمّ بإلقاء نفسهِ ..
في المَوْجِ ..
للعومِ
من فوْقِ
جسرٍ رفيعٍ ..
لأوّلِ مرّهْ !
وأصعقُ بالعشقِ ملتثما ..
بانتفاضةِ عصفورة في جراحي التي
عاصرتها رحى العاصفهْ ؛
تدورُ الرّحَى ..
وأدورُ بعكسِ الرحى !
وأصيحُ .. أصِيحْ :
ـ « أنا لنْ أعاصرَ حلما
أفيقُ فأصعق .. أمّي
تراني أميرًا لحُلْمِي
وفي معصمي سلطاتُ أميرْ
تُجرجرُ أيقونتي الصهوةُ الخاطفهْ ».
★ ★ ★

عـاصرتك يا أمي جيلاً .. جيلاً ..
كعشيقين التحمـا ..
في قبلة حبّ للوطن الأرْحَبْ ،
وخرجتُ من القبلةِ مهزوزَ الشفتينِ
بلى
أترَى أغْضَبْ ؟!
والشفةُ المهزومَةُ .. لنْ
تنتِجع اليدَ معجزَةَ التكوينْ ..
— « **تتوهَّجُ شِعْـراً ..** »
قـالوا لي :
— « **لا .. !**
قلـتُ لهمْ :
بَلْ أشْعُرُ أنّي ..
أتوَهَّجُ فِعْلاً آخرْ
محفُوفَ العينين بأهدابِ الخوفْ !
والفرحَةُ .. كلّ الفرحةِ أنْ ..
أستَنْفِذَ فِعلِي ،
أستيقظُ .. أبْصِرُهُ ..
يتجسَّمُ كالجبَلِ الوارفْ ! »
قـالوا لي :
— « **أنت إذنْ فرَحُ الأطفال الخائفْ**
وأشرتُ إلى الشقّ الأيسرمن صدري .
لأقول لهم :
— « . . . . »

وعدلتُ عنِ القولِ لأفعلَ شيئا ..
ألجمتُ شفاهي .
قـالوا لي :
— « **أحلامُكَ أنتَ غَدَتْ**
تزعجُ غيرَكَ بالمتَّسَعِ الأرحبْ ! »
— « **أحْلامُهُ ....**
(قال لهم صوتي الملجمُ بالوسطى ..
بالسبابة .. بالإبهامْ ..) :
أَزْعجَها الضيقُ .. وفي المتَّسَعِ
الضيقُ يُمَاغِصُ أجنحةَ الطيْرِ
بأنفاسِ الغُرَبَـاءْ ! »
ترجوني الطيرُ .. وتهتفُ بِي :
— « **وَطَنّي حول مرُوج القحطِ لكيْ**
أعطِشَ أكثرْ ..
ما شَجَّرَ أجنحتي بالتحليقِ الأكبرْ
غيرُ السفر الدائم لرفيفِ الانذارْ .
الإنذارُ : بأنْ لا نَهْرَبْ ...
إلاّ بتجاه المتَّسَعِ الارْحبْ ! »
قـالوا لي :
— « **هلْ نخشاك إذا قلنا :**
إنَّكَ تكذِبْ !؟ »
وسكتّ أقلّ من الرّمش الطافحِ
بالشّمسِ ؛
فقـال الضّوءُ اللاجِبُ :

– « هذا لا يكذبُ إلا باسم القادمِ ما
ليس يصدّقهُ بطَلٌ
لا يخشَى أن يمنعَهُ (المانفكتْ ..)
مِنْ أنْ يَكتُبْ .. » :
لنْ يصنعَ منّي بطلا حُلُمِي
إن يترُكنْي في نوْمِي ..
أحلمُ لا أقدرُ إلا أن أحلُم !
لا يرفض – أول من يرفض – إلاّ
منْ أحلمَهُ أضْغَاثاً ..
جين يفيق الحالم بِالوِحْدَه
لا يجنِي من (سَوْسَوَفَ) سوَى
تمزيق (المسودّه!)
يُؤْلمني أنْ أقرأ فيِ المسودة قبل التمزيقِ
وفيِ أشلاءِ المسودّةِ
بعدَ التلفيقِ :
– « الآتُونَ منَ العبقِ الأبيض
حين أفاقوا ..
طلبونا في فجواتِ التاريخ الأخرى ..
وجدونا نوسعُها كذبا ..
إذْ ذَاكَ بالتاريخ الواسع هم ضاقوا .
هَا أصبحَ وَحدَهُ يهذِي
مبنُوجاً هذا التّاريخْ
بالهذيان.. يعرّبُنا الإرهاقُ !
حقّقْنا يا القادمُ إنّا لا نُخفِي

أنّا نتوَهّمُ أنّكَ بالواهمِ
يأخذُكَ الإشفاقُ .
الواهمُ يحتالُ على الأوجاعِ ..
بتسويدِ الأوراقِ .. فلَوْ
ينفطِمُ الواهمُ تبيضَ الأوراقُ .
ما بينَ الأوجاعِ وبينَ الواهم منْ
جدرانٍ تتهرْشَمُ لوْ يمتدَّ على
كلَّ الآفاقِ العشّاقُ .
الكافرُ بالعشقِ تبرْعَجَ فيِ النارْ ..
يستقدِمُ بالبارقِ فجراً ..
يعكس ما بين الباطن والخارجِ
مجْرَى التيارْ ..
منتظراً أن يلغيَ قانونَ النارِ الإحراقُ »
لكنّني صِحْتُ .. وما صاحَ معِي
فيِ النار رِفاقُ :
– « لا تُلغِي إحرَاقي يتُها النارُ فلا
يعبقُ إلا فيِ النار الخلاّقُ .
أحرقْنِي يا عرجونَ النارْ
يتدَحّنْ رأسِي
مِنْ فَوْهَةِ رأسِي
لا ترْتفعَ الأعناقُ .
إلاّ لتقُولْ » :
– « النخلة إنْ عطشتْ ماتتْ لتعيشْ
والنخلة إن أغدقْنا الماءَ عليْهَا .

ماتَتْ لتموتْ
بيرُوتْ .!
ما معنى بيرُوتْ !؟
طوفانُ الأطفالِ الصّارخِ في
مدن الإنسان الصامت عَن
كلِّ صُراخ في كلّ سكُوتْ !»
لكنّ النخلة لم تسكتْ .. صَاحتْ
في قحط السجّانْ :
– « هيا ارْفعْ عن عنقي قبضتك الآنْ
فيدايَ على عنقي الآنَ خناقُ .
لا أروعَ مِنْ أنْ
تَرْبطَ بيدَيها النخلةُ حبلاً .!
تعلو كرْسيّاً .!
تدفعه من تحت القدمين الساقْ
يتهرْشمُ فخّارَ الكرسيّ ليولدَ منْ
بَعْدِ الوهميّة عرجونٌ ..
يتأرجحُ شهداً
كم تتشهّى أنْ تتأرْجحَ في الشمسِ
الأعذاقُ ! »
الشمس تدبّ على متاع كراسي
الشنق ..
العشّاقُ .

العشّاقُ هُمُ الشاهدُ أنّا ..
ارماد كراسي الشنقِ جميعا نحنُ
العشّاقُ
هاهبَ رَمَادُ الحَرْقِ ..
ها انبثقتْ من خصْبِ الهبّاتْ
سبعُ حماماتْ
الأولى باحتْ .. والليلُ هديل .. :
– « هذا المحروقُ : دَمُ الحجّاجِ
التّائبْ ..
والتّوبَةُ بعدَ الحجّاجِ جريمهْ
وتبوحُ الثانيةُ :
– « المصلوبُ : بنُو الحلاّجِ ..
ومَنْ يصْلبْ حلاّجاً في
حَرْبِ الاخشابِ فقدْ
أسّسَ للتاريخِ الوضّاء وليمهْ
وتبوحُ الثالثةُ :
– « المقتولُ : على الريحِ يجيءُ
قميصاً ..
في رَكبِ التجّار معَ الفتنهْ ..
عثمانُ يعودُ لتسهيمِ الغُنْمِ ..
وأيّ غنيمهْ ؟!

الصادق شرف

قراءات في فكر وأدب الكاتب التونسي محمد مزالي

بقلم : رشيد الذوادي

ـ قراءة مدخلية :

ان الحديث عن الادب التونسي وعن اعلامه ومدارسه واتجاهاته خارج الحدود يكاد يكون مفقودا في عهد الحماية الفرنسية ، فرغم الجهود التي بذلها رواد الفكر العربي كـ : محمد الفاضل ابن عاشور ، وزين العابدين السنوسي ، ومحمد الخذر حسين ، وعثمان الكعاك ، ورضوان ابراهيم ، وسهيل ادريس ، وعمر فروخ ، وخليفة التليسي ، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، وأنور الجندي ، ورجاء النقاش ، وأبو القاسم محمد كرو ، فاننا ما زلنا نلمس فراغا كبيرا فيما يخص تحديد الآثار ، وضبط المخلفات ، وتوثيق الانتاج ، والتعريف بالاعلام التونسيين ، وهي أولويات لا بد منها للدراسات الجادة والبحث الامين في خارج الحدود .

وهذا في رأيي راجع الى انعدام الجسور الثقافية والفكرية بين تونس والمشرق العربي،فيما مضى ونتج عنه ان بات الادب التونسي لا مرجع مستوفى له ، ونتج عن ذلك وجود ثغرات في أدبنا وفي تراثنا عندكم .. هذه الثغرات تولدت عن انعدام المصادر ، وقلة الاتصال ، ووضع القيود على الايدي والالسنة .

فقد كنا في الخمسينات نتساءل : الى متى نبقى مجهولين في المشرق العربي ؟ وان الكتابة عن ادبائنا على النهج العصري باتت حلما لن يتحقق ... وحينما تحصل أخطاء عنا كنا نتساءل ايضا .. كيف يحصل هذا ؟.. فلم يكتب الناقد عمر فروخ مثلا عن الشابي كما كتب ؟.. وكيف تحصل اخطاء عندما يوضع : قصاص مكان شاعر ، وباحث موضع قصاص أو ناقد ؟

ان صوت تونس الادبى ابان الاحتلال الفرنسى كان خفيا جدا خارج الحدود، والاصوات الادبية والفكرية التونسية لا يسمع بها اخواننا الادباء فى المشرق، فيكاد أبو القاسم الشابى هو الشاعر الوحيد المعروف الذى تخطى الحدود عن طريق الاديب احمد زكى أبو شادى ومجلته « أبولو » .

ان اخواننا فى المشرق لا يعرفون الا النزر القليل عن : سعيد أبى بكر ، وعن محمد بوشربيه ومحمد الحليوى وأمير شعراء تونس محمد الشاذلى خزنة دار ، وعن القصاص علي الدوعاجي ، وعن المسعدى وغيرهم ..

كما لا تصلهم الا لقطات خاطفة عن جماعاتنا الادبية وروابطنا الفكرية مثل: (جماعة تحت السور) ، و (جماعة تحت الدربوز) ، و (جماعة باب الفلة)، و (أسرة القلم الواعى) ، و (رابطة القلم الجديد) ، و (نادى القلم) وغيرها ..

كل هذا ، تسبب فيه الاستعمار فالاستعمار كان حائلا بيننا وبينكم لكن والحمد لله ، ومن يوم ان تحررت تونس فى سنة 1956 بدأ تطلعكم نحونا .. وبدأنا نرحل الى دياركم .. فكان اللقاء ، وكان التحفز الى العمل الجدى لاستيفاء جوانب الفكر والادب ، وتعزيز الروابط الثقافية ، التى كانت بدايتها فى علاقات (الزيتونة) بـ (الازهر) وتأسيس القاهرة من طرف المعز لدين الله الفاطمى أتيحت الفرصة ومنذ تحررنا الى ان (نكمل المشوار) والى ان نضيف شيئا الى ماضينا ، وبذلك نكون قد حافظنا على التقاليد ووفقنا فى السير فى خطى الاجداد ..

.. أتيحت الفرصة لاعمال أدبية ودراسات جادة كتبت عنا وان اعد من بينها اذكر : كتاب : (الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقيا) لانور الجندى ومقالات د. طه حسين عن (سد) المسعدى فى (الاهرام) و (القصة العربية فى شمال افريقيا) لسهيل ادريس فى مجلة (الآداب) (1) ودراسات : رضوان ابراهيم فى « الاديب » و « الندوة » و « الفكر » عن الادب التونسى والتى جمعت فيما بعد فى كتابه (التعريف

---

(1) راجع (الآداب) العدد الخاص بالقصة : س 139 (يناير 1954) ص 17 — 19 .

3)3

بالادب التونسى) (2) ودراسات كل من مارون عبود ، وعيسى فتوح ، و د. بنت الشاطىء ، وحنا الفاخورى ، ورجاء النقاش ، و د. عبد المنعم خفاجى ، وفوزى عطوى ، وحسنى سيد لبيب (3) ، ورابح لطفى جمعه ، وابراهيم مدكور .. كل هذه الدراسات كانت دسمة وذات مستوى نقدى طيب .

* * *

شعرنا بهذا التحرك نحونا بعد ان كنا نتساءل أين اخواننا من أدباء المشرق العربى ؟ فلم لم يعرفوا بأدبنا وبرجالاتنا ؟. ولم لم يبرزوا الكنوز على صورة تأنس الاذواق بها وتضم خزائن كتبهم انتاجنا الفكرى ؟

هكذا كنا نقف حيارى امام صمتكم ثم تردد سؤالنا مرات .. وأخيرا انتهى السؤال حينما توالت الدعوات من كل مكان لاستكمال المسيرة بعد ان مهد لها كل من « الزيتونة » و « الازهر » فيما مضى من التاريخ .

* * *

وهكذا تألق فكرنا هنا من جديد بفضل روح العزم لبناء المستقبل العربى ، فتم القضاء على حجة الاستعمار ، الذى كان يكبل العقول ، ويحجم الكلام ، ويلجم الافكار ، ويضع على الايدى والالسنة قيودا .. وقد قرأتم فى السنوات الاخيرة الكثير من اعمالنا الادبية والفكرية وكان هذا فى الماضى ضربا من المستحيل .

* * *

وما دمنا نتحدث عن (السد) الفكرى ، الذى كان قائما بيننا ، فلا بد أن نشير الى أن هذه الدار « دار رابطة الادب الحديث بالقاهرة » ساهمت هى الاخرى فى ازالة هذا (السد) .. زاركم الكثير من ادبائنا فى هذه الندوات

(2) (التعريف بالادب التونسى) لرضوان ابراهيم ، ظهر فى عام 1977 ، ومؤلفه قام بترجمة اضخم كتاب صدر فى روسيا عن ابن خلدون ، تأليف : الدكتور سفيتلا ناباتسييفا .. توفى هذا الكاتب عام 1975 .

(3) نشر عدة دراسات فى « الاديب » و « الصباح » عن صاحب هذه الدراسة .

الاسبوعية التى تنعقد مساء كل يوم ثلاثاء وكرمتم الكثير من كتابنا ، وعرف الكثير من اعضاء هذه الرابطة بالانتاج الفكرى التونسى أذكر من بينهم د. محمد عبد المنعم خفاجى ، وعبد الله زكريا الانصارى ، وانور الجندى ، وتوفيق الحكيم ، ورضوان ابراهيم ، كما ان أبا القاسم محمد كرو ، ود. الحبيب الجنحانى ، ورشيد الذوادى ، هم اعضاء عاملين فى هذه الرابطة .

ففى (رابطة الادب الحديث) ارتفع صوت احد اعضائها فى عام 1954 يكرم أديبا من أدباء تونس الكبار وهو الاستاذ أبو القاسم محمد كرو .. كتب الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى تقييما لكتاب « حصاد القلم » وفيه يقول :

« .. ويمثل هذا الشعور بالمسؤولية ، والاحساس بواجب الاديب نحو وطنه يمضى المؤلف فى فصول كتابه ، رائعا جليلا ، قوى التصوير والتعبير والتأثير ، سامى الاهداف والغايات ، هاتفا بالحرية والمجد لوطنه وأمته وللعرب فى كل مكان .. ينحو نحو الواقعية الحديثة فى أدبه وكتابته ، يعزز ذلك كله طبع أصيل ، وملكات قوية ، وشعور انسانى ووطنى كريم ، وايمان بحق شعبه فى الحرية والحياة العزيزة بين الامم والشعوب .. » (4) .

ـ سمات الفكر التونسى المعاصر :

ولو حاولنا ان نستوعب جل ملامح الفكر التونسى المعاصر وضبط اتجاهات وتيارات هذا الفكر وابراز خصوصياته لوجدنا فى هذا الفكر دسامة وعمقا ومضامين هادفة . ان معظم الشعراء والقصاصين والكتاب التونسيين تفاعلوا مع واقعهم ومع احداث وطنهم ، وهكذا نجد فى مقدمة من أدرك أخطار الفرنسيين قبل الاحتلال الشاعر محمود قابادو : (1812 ـ 1871) ثم نرى بعد ظهور الطباعة بتونس (1860) ادباء مكافحين واكبوا الفترات الصعبة وناضلوا ضد سياسة الفرنسة والتغريب والاذابة والتجنيس .

وهناك لا بد ان أشير الى أن انتصاب الحماية وقهر الاستعمار لم يحدا من نشاط المفكرين والادباء التونسيين ، اذ بفضل تيقظ الضمير الوطنى عن طريق الحركات السياسية التى تعاقبت على البلاد خاصة الحزب الدستورى

---

(4) انظر « حصاد القلم » : أبو القاسم محمد كرو ، ط القاهرة 1954 ، ص 3 ـ 4 .

الجديد (1934) وبفضل الانتباه الملحوظ من المتخرجين من الزيتونة والصادقية ازدهر الفكر ، ووقف ادباء تونس وقفة شجاعة فكان الانفجار والثورة (5) .

ونتحسس هذه الثورة فى نتاجات المفكرين من شعراء وقصاصين ودارسين ونقاد

ويقيني ان اهم فترة خصوبة لهذا الفكر المعاصر هى التى كانت بين سنة 1914 و 1956 اذ فى خلال هذه المدة (42 سنة) برزت مجموعة كبيرة من الكتاب والشعراء والقصاصين ساهم جميعهم فى تفجير الوعى الوطنى ، كما انه فى هذا الطور بالذات تولد أدب تونسى صرف عالج أوضاع الشعب وطموحاته .

وتميز فكر هذه الفترة بنداءات ملحة لتطوير التعليم فى تونس والحفاظ على الشخصية ضد قانون التجنيس ، ودعم طرائق تقوية الشعب وتبصيره بمشاكله ، والمناداة بالثورة على الاستعمار وطرح القضايا التى لها مساس بالعائلة التونسية والدعوة الى حرية المرأة وانصاف العمال ، كما برزت فى عام 1930 القصة التونسية بالمعنى التقنى على يد علي الدوعاجي (6) والبشروش ، ومصطفى خريف ، والهادي العبيدي ، ومحمد المرزوقي ، ومحمد العروسى المطوى ، وأبو القاسم محمد كرو ، ومنور صمادح ، ومحمد مزالى .

وظهرت فى هذه المرحلة عدة مجلات أدبية منها : (العالم العربى) ، و (المباحث) ، و (الثريا) ، و (الندوة) ثم بعد الاستقلال ظهرت (الفكر) ، وكتاب (البعث) ، ثم (اللغات) ، و (الثقافة) ، و (التربية) ، و (التعليم) ، و (الحياة الثقافية) .

---

(5) راجع : (المجمل) ح. ح. عبد الوهاب ، ط تونس 1968 ، ص 486 ، (جماعة تحت السور) لرشيد الذوادى ، ط تونس 1975 ، ص 10 .

(6) علي الدوعاجي : (1909 – 1949) كاتب ورسام وقصاص له عدة مسرحيات وكتاب عنوانه : (جولة فى حانات البحر المتوسط) قصصه تصور حياة الاسرة المتعبة كـ (القرباجي) ، و (الحلاق) ، و (المؤدب) .. راجع : (جماعة تحت السور) ، ص 134 ، و (الادب التونسى) : مقالات قصيرة ، لكاتب الروسى بانتوتشك ، ط موسكو 1968 .

وبرز في جيل بعد الاستقلال : الروائي البشير بن سلامه ، والقصاص رشاد الحمزاوي ، والشاعر جعفر ماجد ، ومصطفى الفارسي ، ورشيد الذوادي ، ومحمد الصالح الجابري، وأحمد القديدي، وعزالدين المدني ، والفكر التونسي بمختلف أنواعه اثر الاستقلال تميز بميزات ابرزها : الوطنية ، والدفاع عن تيار التونسة والاشتراكية ، كما تفاعل هذا الفكر مع تيار « الاصالة » التي التزمت بها مجلة « الفكر » ، منذ بروزها في اكتوبر 1955 ، وعبر هذا الفكر في شتى الصور عن الثورة الجزائرية تعبيرا عن التضامن مع هذا الشعب ، وتعضيدا للجهد الذى كان يقوم به زملاؤهم الجزائريون في ايام ثورتهم المجيدة .

كما تفاعل هذا الفكر مع حرية الكلمة والفكر ومع قضايا الحرية والنضال في الوطن العربي وفي العالم أيضا، لان الفكر نضال والتزام ورسالة هادفة.. يقول د. الحبيب الجنحاني في كتابه : (من قضايا الفكر) « الفكر مشعل مسيرة الشعوب نحو تحقيق المجتمع الافضل .. هو جوهر المسؤولية وعنوان وعي النضال واصالته وسموه » (7) .

هذه هي سمات الفكر التونسي المعاصر من خلال المضمون والرؤية ، اما سمات الشكل والصورة فقد تطور ايضا الى احدث الكتابة العربية ، فالرواية مثلا لم تعد تترصد التحولات فحسب وانما هي ايضا تؤرخ لنضال الجماهير وتمثل التجربة الابداعية وهو ما تبرزه روايات : (التوت المر) للعروسي المطوي ، و (بودودة مات) لرشاد الحمزاوي ، و (يوم من أيام زمرا) لمحمد الصالح الجابري .

والصورة الشعرية هي ذات أهمية بالغة في الشعر الحديث .. أصبح الشعراء التونسيون ينزعون الى الصور الدقيقة التي تظل متصلة بالحقيقة والواقع ، وأصبح الحكم على التجربة الشعرية من خلال التصاق الشعر بهموم الشعب ، ولعل الميداني بن صالح هو من خيرة الشعراء الذين صور شعرهم لهاث الكادحين ، وأهازيج الشعوب ، والصعاليك ، والعاطلين (8) .

تتمركز الاضاءة الشعرية على (الشعر المنجمي) وهي ظاهرة متميزة اليوم على الساحة الادبية وتتولى مجلتا (**الفكر**) و (**الأخلاء**) التي أسسها ويديرها

---

(7) انظر (من قضايا الفكر) ط تونس 1974 ، ص 39 .
(8) الشعر التونسي المعاصر : (1870 ــ 1970) ، ط تونس 1974 ، ص 694.

الشاعر الصادق شرف ، تسليط الاضاءات على هذه التجربة الشعرية ولئن اختلفت حركة الشعراء المنجميين فى الطرق التعبيرية وفى تناول المواضيع فى الحياة المنجمية ، فانها تشترك فى الهدف الموحد وهو التعبير بعمق عما يجرى فى حياة العمال وعما يدور حولهم من مشاكل عمالية.. ونرى فى مقدمة هؤلاء الشعراء سويلمى بوجمعه ، وأحمد عامر ، وسالم الشعبانى ، ومحمد عمار شعابنية ، وأحد مختار الهادى (9) .

هذا هو الفكر التونسى من خلال اتجاهاته ومدارسه واشكالياته ورؤاه ، فهو فكر زاخر بلور فى عمومه شخصية التونسى فى نضالاته واتواقه ومعاناته .

ــ الكاتب التونسى دوما تائقا للحق :

وهكذا يتبين من خلال هذه الاضاءة ان الكاتب التونسى ظل دائما ينشد الحق ويعمل فى سبيله ويستلهم الجديد من واقعه الثرى .

ويكفى ان نشير الى ان عديد المعارك خاضها الكتاب التونسيون كـ (السفور والحجاب) ، و (حرية الفكر والصحافة) ، و (مساواة المرأة بالرجل) و (عن تيار التونسة والتعريب) .

ان لكل معركة من هذه المعارك قصة شائقة وحكاية طويلة .. ولكل معركة ابطالها وهى جميعها عناصر بشرية وتاريخية تشترك فى (ملحمة اثبات الذات) وارساء القيم الاخلاقية فى تونس .

وأن فى ريادة أبى القاسم الشابى .. وفى كفاح الشاذلى خزنة دار وسعيد أبى بكر .. وفى دفاع الطاهر الحداد عن المرأة والعمال .. وفى دعوات أبى القاسم محمد كرو ومحمد مزالى ومحمد العروسى المطوى الى ضرورة التعريب .. وفى مناداة محمد مزالى بالتونسة والاصالة الفكرية .. وباحلال الادب التونسى المنزلة اللائقة به .. قلت : إن فى كل هذا مؤشرات تثبت فيما تثبت ايمان مثقفينا بالشخصية التونسية .. هذه الشخصية التى تعتز بالماضى وواجهت التحديات وسموم الادعياء والغاصبين ، وتستمد جذورها حسب ما عبر عنه الكاتب التونسى محمد مزالى من أمة عربية اسلامية تتوق

(9) مجلة (الأخلاء) ، س 3 ، (نوفمبر 1980) ، عدد خاص بالشعر المنجمى ، لمحمد العائش القوتى .

الى المطلق ، وتؤمن بالله ، وتخاص للقيم العليا ، مع تفاعلها مـع التيارات الفكرية لحوض البحر الابيض المتوسط ، وتضامنها مع البشر (١٥) .

والدفاع عن الشخصية التونسية كانت فى مقدمات العمل الفكـرى الذى سار فيه الادباء وتحملوا فى سبيله صنوفا من الاذى ومع ذلك ثبتوا ، فثبت الحق وثبتت تبعات هذا الحق فى مستوى الفكر ، وفى مستوى العمل والانجاز.

والوعى الوطنى الذى فجره المثقفون من خلال دفـاعهم عـن الشخصيـة التونسية كان وعيا عميقا خلق ادوات ثقافية وجيلا جديـدا يعتـز بتـونس وبمقوماتهـا .

هكذا كان انطلاق روح الشعور بالشخصيـة التـونسية .. كان الشعـور شاملا وكافح من أجله عدد السياسيين والمفكرين وفى مقدمة هؤلاء : الحبيب بورقيبه ، والطاهر الحداد ، وعلي البلهوان ، والطاهر صفر ، ومحمد مزالى ، وأبو القاسم محمد كرو ، ومحمد العروسى المطوى ، وغيرهم وفيهـا يتجـلى بالخصوص دور محمد مزالى صاحب مجلة (الفكر) بالذات ؟..

ـ اتجاهـات وخصـائص :

ان محمد مزالى الذى تحمل عدة مسؤوليات سياسية وفكرية (١١) هو وجه أدبى مرموق فى تونس اليوم فهو بالاضافة الى مواصلة اصداره مجلة (الفكر) لمدة تسع وعشرين سنة فهو الرئيس المؤسس لاتحـاد الكتـاب التـونسيين ومؤلف عدة كتب منها :

- الديمقـراطية : (1955) ـ مـن وحـي الفكـر : (1969)
- مـواقف : (1973) ـ دراسـات : (1974)
- وجهـات نظـر : (1975) ـ فى دروب الفكـر : (1979)

---

(١٠) مواقف : محمد مزالى ، ط تونس 1973 ، ص 217 و 218 .
(١١) تحمل محمـد مـزالى عدة مسؤوليات وزارية آخرها (الوزارة الاولى) بتاريخ 1980/4/23 وهو عضو فى عدة مجامع لغوية بالقاهرة ودمشق وبغداد وعمان .

كما قام بترجمة عدة كتب بالاشتراك مع الكاتب التونسى المعروف البشير بن سلامة عن ش٠أ٠ جوليان : (المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسى) و (تاريخ شمال افريقيا) فى جزأين .. يقول الكاتب البشير بن سلامه فى تعريفه بشخصية محمد مزالى الكاتب :

« لست أعرف الى اليوم ، وانا الذى أديم عشرته وداومتها قبـل واثنـاء تقلبه فى المهام السياسية الخطيرة موقفا واحدا وقفه فى السـر والعلـن أو جانبا واحدا من حياته العامة والخاصة يتضارب مع أقواله ومع ما يظنه الحـق والواقع وهذه لعمرى من أخص خصائص المثقف ورجل الفكر » (12) .

يتضح من خلال هذه الفقرة ان شخصية محمد مزالى ثرية وخصبـة فهـو رياضى من أبطال الحركة الاولمبية ، ومؤرخ كتب عدة فصول فى التـاريخ ، وهو مناضل دافع عن تعريب التعليم ، ونادى بالدعوة الى الحرية فى الخلق ، وهو مفكر أصيل يذود عن كرامة المفكر فى تفكيره ، وعن احترام الكاتب فى كتابته ، وهو أديب ذواق يمتاز بتفكيره وجرأته وخياله وأحلامه .

هذا هو محمد مزالى الكاتب المفكر الذى يعد من أوائل الكتاب التونسيين الذين تحملوا هموم أمتهم وعالجوا مشاغلها .

هو رجل متوازن نجح فى التوفيق بين الفكـر والعمـل .. هـذه أخص خصائص الرجل .. والنجاح فيما بين العقل والتطبيـق ، وفيما بين الفكـر والفعل ندر ان نجده ولا غرو فى هذا ما دمنا نعلم ان الادب عنده ليس مأساة بل ملحمة ونضالات فى الواقع المعاش .

وحينما نتعمق فى فكر الرجل ، ونتقصى تجربة الخلق والابداع فيه نحس بنوعية خاصة من طرافة الخلق الانشائى عند هذا الكاتب تتميز بوعى وطنى أصيل وصادق .

فدراسته عن (التونسة والتعريب) ، وعن : (أدب الشباب) ، و (حركية التاريخ) ، وعن : (مسؤوليتنا ازاء الاجيال العربية) ، وعن : (علي البلهوان المفكـر) ، و (احياء التاريخ لبناء المستقبل) ، و (الثقـافة القـومية) ،

---

(12) راجع : (من وحي الفكر) : ط تونس 1970 ، (مقدمة الاستاذ البشير بن سلامه) ، ص 12 .

و (التونسة وفاء للذات) ، كلما قرأناها اكتشفنا شيئا وهو حاسة الكاتب الى تعميق وعي المواطنين بالشخصية التونسية ، ويبرز حرصه هذا كأعمق ما يكون الحرص وهذا لعمرى من شدة حساسيته الوطنية وهويته العربية ، فمناداته بالحفاظ على الشخصية الفكرية ودعوته الى البحث فى اغوار الشخصية التونسية ، ووعيه بقضايا شعبه وبتطلعاته واتواقه ، يؤكد لنا مرة أخرى على انه « يلتقى مع الكثيرين من التونسيين المؤمنين باصالتهم وبدورهم فى الحياة مثلما يذكر ذلك صديقه البشير بن سلامه فى كتاب (من وحي الفكر) » (13) .

ومحمد مزالى توفق منذ ان اعان فى أول عدد من « الفكر » عام 1955 الى « وجوب النظر فى شؤون دارنا العقلية والبحث عن مذهب فكرى تونسى » ولذلك رأيناه يخصص عديد الدراسات فى شرح هذا المنظور الفكرى الجديد، وطبعا هو لا يقصد الانغلاق على النفس ، ولكنه يريد ان يصبح للتونسيين فكر يتميز بخصوصيات ويصبح هذا الفكر مسؤولا يخدم تونس أولا ثم الوطن العربى الكبير . هذا هو التوازن الذى طالما ناشده محمد مزالى فى فكره وفى كتاباته وهو لعمرى بذرة صالحة من بذور هذا الكاتب المفكر .

ويرى محمد مزالى فى نطاق دعم الشخصية التونسية انه لا بد من تونسة برامج التعليم لان ذلك شرطا أساسيا من شروط الاصالة القومية وسعى الى ذلك لما ولى وزارة التربية .

و « التونسة » عنده « ليست انغلاقا على النفس ، أو تنكرا للقيم الانسانية الخالدة ، أو تنازلا عن المستوى الرفيع الذى بلغه الفكر البشرى فى كل مجالات المعرفة » (14) .

« التونسة » فى فكر محمد مزالى هى « مطلب من مطالب الاخلاص للذات والوفاء للروح وهو سعى لا تكاد تشذ عنه أمة تحترم نفسها » (15) .

– يتبع –

رشيد الدوادى

---

(13) نفس المصدر ، ص 12 .
(14) وجهات نظر : محمد مزالى ، تونس 1975 ، ص 36 .
(15) نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

طقوس سرية في مدينة الرماد

شعر : يوسف رزوقه

— ① —

زنْجِيةُ التّام تَام تَرْكحُ لي :
تُؤَدّي رَقْصَةَ الأفْعَى أمَامِي وَهْيِ عَارِيَةٌ تَمَامَا
صَارَتِ الدّنْيَا ظلاَمَا
صَارَ كلّ الرّكح : مَشْتَلَ كهْرُبَاء
لمْ يَكنْ في قاعَةَ الحُمّى سوَاي
تَسَمّرَتْ قَدَمَايَ وَارْتَفَعَتْ يَدَايَ
وَشَبّتِ النّيرَانُ في ثَبَجِ الدّوَاخِلِ ، فيّ ..
(كيْفَ يُشَارِكُ الدّمُ رَقْصَةَ الإسْفَنْج بَهْجَتَهَا ؟)

....

تَثِج سَلِيلَةُ النّارنْج مِنْ بِيدِ الظمأْ
تَدْنُو مِنَ الدّيْجُور : أشْبَحُهَا تُدَاخِلُهُ
(وَتَحْدُثُ شَهْقَةٌ بينَ التِحَامِ والتِحَامْ)
تُطبِقُ الدلْتَا على الدّلْتَا :
يَدٌ تَمْتَدّ نَحْوَ الظهر ، والأخرى إلى العُنُق الرّخَامْ .

— ② —

كأسَانِ فَارغَتَانِ ، وامرَأتَانْ ومُثَلّثَان تَطابَقَا ، وحِوَارْ
تَهْذِي بِمَمْنُوعِ الخَوَالج هذِهِ وَيُصيبُ تلكَ ، تشَقّقٌ وَدُوَارْ

وتَفَح بَيْنَهُمَا أفاع جَمَّةٌ ، ويضِجّ طيّهُما : دَمٌ وشِجَارْ
فَهُما التّنَائِي: يَقظة وحقيقةً ، وهُما التآخِي : سكة وقطارْ
يَعْوِي أثاثُ البَيْتِ وهوَ مكبلٌ ، ويَمُوءُ في قَيْدِ الظلامِ جِدارْ
ضحك النهار مكشِّرا ، فإذا هما : كلتاهما مُستنقع ودمَارْ

— ③ —

تَعُجّ الشّوَارِعُ بِي ، وَأنَا مَلِكٌ وَجُنُودِي القِططْ
– أيْنَ نَهْرُ البَرَاءةِ ؟ أسْألُ ذَاكِرَةَ الحَجَرَهْ :
– كيْفَ بَارَحَكِ الدّمُ أيّتُها الشّجَرَهْ ؟
تَتَعَرّى الخرَائِط لي ، والخِططْ ..
أتَسَكعُ في فكرَةٍ لا تُؤدّي إلى غَابَةٍ ..
تَتَخَفّى المَدِينَةُ في لَيْلِهَا ،
وَجَرَائِمُهَا تَتَنَاسَلُ في سُلْطَةِ الدّمِ ..
فَلأتَوَخّ السبَاحَةَ في الضّوْءِ ، حَتّى تَلاشي الجَسَدْ
(يَقِفُ البَحْرُ مُحْتَفِلا بِي ، ويَمْضِي الزّبَدْ) .

يوسف رزوقه

و.. من الصمت أصداء

هل بغير التفاؤل يكون التغيير ؟

بقلم : محمد مصمولي

[إلى طاحونة الشيء المعتاد]

(I) ان يفاجئك مجهول محترم ، وأنت بصدد التأمل الهادىء في جريدة ، أو بصدد الحديث الخاص جدا مع صهرك الفاضل ، ويقول لك (دون تحية أو سلام) :

– « اسمع لقد قرأت مقالاتك الاخيرة ! »

تصور ان شيئا من هذا القبيل يحدث فعلا ٠٠ ممكن ؟ فمثل هذا لو حدث هو من حق هذا «المجهول» المحترم ٠٠ كقارىء طبعا ٠٠ ومرحبا «بحقه» هذا ٠٠ ، دون رغبة منك في مطالبته بالحجة والدليل على صحة ما يقول ٠٠ وذلك خشية ان يكون في سؤال من هذا النوع احراج له أو احراج لك (كما حدث ذات مرة عندما قدمني أحدهم الى خطيبته الفاضلة مشفوعا بالطف عبارات المدح والاطراء زاعما – عن حسن نية طبعا – انني الشاعر نور الدين صمود صاحب «رحلة في العبير» . وبالطبع وبالرغم من تقديري الجم لصديقي « نور الدين » فقد أحرجني جدا هذا الخطأ المطبعي كما صعب علي احراج : ذلك الخطيب الشاب أمام خطيبته الحسناء بتصحيح معلوماته واسترجاع هويتي الحقيقية ٠٠ ثم تواصل الحديث حول «رحلة ٠٠ في العبير» ٠٠ مكلفا نفسي نيابة الصديق العزيز «نور الدين صمود» في الدفاع عن طابعه المميز في نظم الشعر ٠٠)

أما الكاتب والصحفي الكبير الاستاذ «حسين الجزيري» – كما حدثني بذلك رحمه الله قبل انتقاله الى العالم الآخر – فان الخلط بينه وبين المرحوم الاستاذ عبد العزيز العروي (بسبب لا التشابه في بعض حروف اللقب وانما التشابه في ارتداء الطربوش) لم يفض الى «رحلة في العبير» وانما الى

احراج جماهيرى للاستاذ «الجزيرى» والى مطاردات فى زقاق المدينة ٠٠ ظنا من المتضررين بنقد عبد العزيز العروى ان صاحب «النديم» ليس سوى «بابا عزيز» ٠٠

وازاء هذا الخلط بين الزميلين الكبيرين ، لم يجد المرحوم حسين الجزيرى بدا من الالتجاء الى حيلة طريفة تتمثل ٠٠ فى الاستظهار «ببطاقة تعريفه» كلما خاطبه مواطن بغير اسمه الحقيقى ٠٠ أو فى الاستظهار بصورة «عبد العزيز العروى» كلما حدث التباس فى هذا الاتجاه ٠٠٠

★ ★ ★

(2) وأن يفاجئك نفس الشخص ، وأنت دائما بصدد التأمل الهادىء فى جريدة ، أو الحديث الخاص جدا مع صهرك ، ويقول لك (دون اعتذار أو استئذان) :

ـ « لقد قرأت كل مقالاتك الاخيرة ٠ ولست متفقا معك لا طولا ولا عرضا ٠٠ »

وهذا من حقه طبعا كقارىء ليس مطالبا بالضرورة بان يكون نسخة من أدبائنا ، ومرحبا «بحقه» هذا ، دون رغبة منك فى المجازفة بتأملك الهادىء فى جريدة ، او حديثك الخاص جدا مع صهرك ، من أجل استحضار كل ما كتبته فى شكل «مقالاتك» التى قرأها هذا «المجهول» الفاضل ٠٠ ولم تعجبه لا طولا ولا عرضا ٠٠

ولعلك ـ بدافع تلك النرجسية التى تحدث عنها صديقنا الروائى العراقى عبد الرحمن مجيد الربيعى ـ تتمنى أن يكون هذا المجهول المحترم قد قرأ بالفعل مقالات غيرك من خصومك فى الساحة وتوهم أنها لك ، أو أنه فى حديثه اليك هو فى الواقع قد ذهب به الظن الى أنك لست أنت .. وانما مثلا صاحب « رافض والعشق معى » ، أو صاحب قصة « الانسان الصفر » ..

وما دام الخلط بينك وبين أحد زملائك فى اتحاد الكتاب جائزا .. فقد لا يعدو ان يكون كل هذا الاحراج ـ أمام صهرك العزيز ـ سوى خطأ فى الشخص أو فى العنوان ٠٠

لكن هل تسأله أم تترك المسألة فى اطار «عسى» «ولعل» ؟ لا ٠٠ لا ٠٠ الافضل هو أن تطالبه ــ ان كان مثقفا بالفعل ــ أن يناقشك على اعمدة الصحف (بعد شكره طبعا على هذا الاهتمام اللطيف بكل ما يخطه قلمك المتواضع)٠٠

★ ★ ★

(3) وأن يفاجئك نفس الشخص أيضا ، وأنت دائما بصدد التأمل الهادىء فى جريدة ، أو بصدد الحديث الخاص جدا مع صهرك العزيز ، ويقول لك :

ــ « لقد قرأت كل مقالاتك الاخيرة ٠ وانى لست متفقا معك على طول الخط وعرضه ، كما اننى لست على استعداد لتاليف كتاب كامل لمناقشتك ٠٠ فى حين أنك الآن أمامى وبامكانى أن أقول لك رأيى الخاص ٠٠ فى كلمة واحدة»

وهذا أيضا من حقه كقارىء لا يؤمن بالاخذ والعطاء فحسب ، وانما باعادة «بضاعتنا الينا» ٠٠ فوريا وبغير تأجيل ٠ ومرحبا «بحقه» هذا ، وان كان يصعب على ، بعض الشىء ، ان اتصور امكانية الرد بشكل موضوعى على سبع مقالات فى مواضيع ثقافية مختلفة ، بكلمة واحدة .!! اللهم اذا كان هذا المجهول المحترم قد ابتكر فى تقنيات النقد الادبى والفنى أسلوبا بلاغيا جديدا٠٠ اسمه (الايجاز) ٠٠

ومما يمكن ذكره فى هذا السياق ، هو أن الصحفى المعروف «محمد حمدون» عندما تعلقت همته فى سنة 1975 ببدء نطقه الادبى ٠٠ أبى الا أن يكون منقوده المفضل صديقنا الناقد «بوزيان السعدى» ٠٠ الذى رفض التصديق بوجود ناقد له يمكن ان يكون اسمه الحقيقى «محمد حمدون» فأبى ٠٠ بدوره الا ان يتعامل مع «محمد حمدون» بوصفه فقط اسما مستعارا٠٠ لمحمد مصمولى ٠٠ (رئيس تحرير الجريدة التى شجعت محمد حمدون) ٠٠ ولكن الشاعر الميدانى بن صالح والدكتور هشام بوقمرة رفضا بلطف هذا الخلط بين شخصين مختلفين وتفضلا بوضع الناقد والمنقود وجها لوجه (مع استظهار محمد حمدون ببطاقة تعريفه ٠٠ طبعا) ٠٠

وبيت القصيد هنا ٠٠ ان محمد حمدون لم يرد على بوزيان السعدى «بكلمة واحدة» ، وانما كاد أن يؤلف كتابا كاملا ٠٠ فى حين ان مجهولنا

المحترم .. يزعم انه قادر على التعليق على سبع مقالات من كتابتك الاخيرة بكلمة .. ليس الا ...

★ ★ ★

(4) ورغم أنفك ، وقبل أن يرد عليك هذا المجهول المشاكس «بكلمة واحدة» ، قد تجد نفسك مكرها على تذكر بعض ما ذهبت اليه فى مقالاتك الاخيرة التى لم تعجبه .. لا طولا .. ولا عرضا ..

فأنت ، على ما يبدو ، ترى فى مجال تفاؤلك بالسنة الثقافية الجديدة:

ـ أن المثقف ليس بالضرورة رقما بيروقراطيا او قردا فى سيرك السياسة ..

ـ ان الموسم الثقافى التونسى الجديد يمكن ان يشجع على التفاؤل بسبب تركيز المسرح الوطنى ، وتركيز المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق وبسبب احتفال تونس بألفية ابن الجزار ، وبسبب تركيز المعهد العالى للموسيقى ، وبسبب تركيز «ايام قرطاج للمسرح» ..

ـ ان هذا الجانب المضىء من السياسة الثقافية لا يعنى اطلاقا ، ولا يمكن ان يعني بالمرة ، ان كل المشاكل المتعلقة بالابداع ، وبالشعراء ، وبالمسرحيين ، وبالفنانين ، قد وقع حسمها (بعصا سحرية) ، أو أن بعض القضايا المطروحة فى الساحة قد وقع فضها نهائيا ...

ـ أن أحد أسباب «تعفن» بعض جراحات الواقع الثقافى يتمثل فى «دس» بعض الاطراف غير الثقافية لانوفها فى الجدل الثقافى .. الامر الذى حول هذا الجدل الى «لعبة غميضة» صبيانية جدا (ولكنها فاقدة لبراءة الاطفال) بين الحوار الثقافى المشروع والنزاعات المصلحية ، او السياسية.. البائسة ..

ـ ان بعض الحل يتمثل فى تظافر الجهود بين السلطة الثقافية وكل المثقفين الجادين من أجل اختراع صيغ مختلفة من «اللغة المشتركة» لايجاد الحلول الناجعة .. بواسطة حوار هادىء وصريح ..

ـ ان لاساتذة الجامعة دورا اساسيا فى اثراء الساحة الثقافية اذا تخلوا عن «أكاديميتهم» وربطوا الصلة مع دور الثقافة ومراكز الاعلام ٠٠ ونسجوا على منوال المرحومين محمد فريد غازى وصالح القرمادى الخ٠٠ الخ٠٠

فأنت قد قلت هذا ، وأكثر من هذا ، فى مقالاتك الاخيرة التى لم تعجب «قارئك» المشاكس ٠٠ الذى قرر الرد عليك «بكلمة واحدة» ٠٠

هل هذا ممكن ٠٠٠ ؟ وكيف ؟

★ ★ ★

(5) أن يفاجئك نفس الشخص ، وأنت بصدد التأمل الهادىء فى جريدة، أو بصدد الحديث الخاص مع صهرك العزيز ، ويقول لك (دون تحفظ او احتراز) :

ـ والآن سأقول لك رأيى فى كلمة واحدة : فأنت أيها الكاتب متفائل جدا .

ـ نعم ؟

ـ متفائل ٠٠ متفائل ٠٠ جدا ٠٠ (ثم ينصرف دون سلام أو تحية)٠٠ تصور ان شيئا من هذا القبيل يحدث فعلا ٠٠٠ ممكن ؟

فمما لا شك فيه هو ان من حق الكاتب ان يتفاءل ولو ٠٠ باحتراز ٠٠ دون ان يكون بالضرورة رقما بيروقراطيا أو قردا فى سيرك السياسة .. أما أن يذهب البعض الى ان التفاؤل شبهة «يمينية» ، أو الى ان التوجه المستقبلى يقتضى حتما ٠٠ احتراف المشاكسة باستمرار ٠٠ من أجل خلق البديل ٠٠ فأنا لست على اتفاق ٠٠ اطلاقا ٠٠

وفجأة ٠٠

تلتفت أمامك ، والى يمينك والى يسارك ، فتكتشف أنك على انفراد مع هواجسك ٠٠ أى فى جلسة عمل مع نفسك ٠٠٠ ليس الا ٠٠٠

محمد مصمولى

في الصّحراء أناملي ..

شعر : رجب بن امهني
(أبو قيس)

الضوء بين رمالها وهضابها ... ثلج يذوب وفضة تنـــداحُ
وعلى ضفاف جلالها وجمالها ... رقص الهوى وتـردد الإفصاحُ
ماذا أقول ؟ وأي قلب عاشق ... فيها يروقه في الحياة صبـاحُ ؟
الأفق خلفَ رمالها يرنو لنا ... وهو البساط المشرق الوضاحُ
كم عاشق في الحب يقتله الهوى! ... والحبّ فيها ضاحك ممراحُ
اني أحنّ لساعة في وحدتي ... يغري فؤادي الصمتُ والأفراحُ
ثمل – هنا الأتعابُ أدفنها – وهلْ ... من غير هذا الرمل تُسقي الراحُ ؟
نشوان ، أغرس في الرمال أناملي ... وهي الخمور وإنها الأقداحُ
ذرني إذا استلقيتُ أنسى عالمي ... فهنا تضمدُ بالرمال جراحُ
في وحدتي كل العوالم تختفي ... أين الذين بعالمي قدْ صاحوا ؟ ! .
تزدانُ كثبان الرمالَ تموجا ... قد زخرفتها للحياة رياحُ
ما كان أجمل وشيها وحليها ! ... فعلى الأديم قلادةٌ ووشاحُ
تمضي هنا الساعات وهي سعيدة ... والوزْرُ عنّا ها هنا ينزاحُ
إني إلى الصحراءِ أشكو شقوتي ... ممن بأذني كلهمْ قد ناحوا !
هذا زمان اللؤم يعرفهُ الفتى ... فتُشَكّ في صدر المحبّ رماحُ
ذرني فإني بالرمال متيمٌ ... والحبّ في بحر الرمال مباحُ
أنا طائر في الرمل يكتسبُ الرؤى ... من دونها هل يستقيم جناح ؟ !
ذرني أخط على الرمال قصيدةً ... حرّا .. أيكبحُ في الرمال جماحُ ؟
ذرني هنا أبكي وأضحك ساخرا ... إذ تنزوي عن عالمي الأشباحُ .

المحطة ...

قصة : سمير العيادي

تنهد القطار ولفظ نفسه الاخير ، وانهد تحت سقف قصديري عار ، مندسا فى وحشة الصمت بين رصيفين من الاسمنت المتشقق ، خاملا أمام حاجز من الخشب المتقشر دهنه ، فابتعد عنه المنتظرون متأففين من فقاقيع البخار الكربونى المتفاقمة ٠

سكن كالدابة الهالكة ٠

بعض قوائمه المعدنية سرت فيها كهرباء غريزية متأخرة ، متخلفة من اهتزازاته السريعة المضطربة ، فارتعدت وقرقرت وعوت عواء يوم شتائى ٠٠

عوى الكلب عند رجلى الشيخ. ضربه الشيخ بعصاه البيضاء. سكت الكلب عندئذ وتكمش بدوره ، واندس تحت برنس الشيخ غير عابىء بغدير الماء الذى كان الشيخ يقف فيه منذ الفجر مستندا الى حائط ابرص علق به اسم المحطة وسبورة لم يعد أحد يكتب عليها حرفا ...

اطمأن المنتظرون الى خمود القطار ٠ فتقدموا الى نوافذ العربات وأبوابها التى تدلت منها رؤوس ذات وجوه متطلعة الى ابتسامات حفاوة ، بدون هدى وبأمل ثقيل يحمل خضرة الجبال ، والحقول تحت قتامة السماء فى عشية من عشايا البرد ٠٠٠

أخرج الكلب رأسه من تحت البرنس وأطل ٠ شيع بنظره جماعات مبتهجة باللقاء ، محملة بالحقائب والقفاف وباقات الدجاج المنقنقة كالضفادع فى الخنادق الليلية ، مسرعة نحو القرية التى بدأ المطر يرشها بمياه من القرف ٠

أغلق القابض باب مكتبه . نبح الكلب . عبس القابض وبصق فى اتجاه الشيخ وانطلق لاحقا بآخر المهرولين ، حاملا تحت معطفه فرحة عارمة بالعودة الى المقهى ، حيث نرجيلة وطاولة وورق وأصحاب ينتظرون ...

لم يبق سوى القطار الهامد . لم يبق سوى المطر يغسل سطوح العربات غسلا شامتا . لم تبق سوى سكك مرمية فى أخدود ، متمددة بين الحصى على خشبات نخرة ، تائقة الى الرحيل القادم ، نحو المدينة البعيدة التى هجرها الشيخ منذ سنين .

أغلق الكلب فكية على عصا الشيخ ، وجرها وجره الى القرية ، الى المقهى ، الى الناس ... اذعن الشيخ وانقاد الى العادة ، كالعادة ... وتحمل ثقل خفين متشبثين بالماء والوحل ،مكركرا فى صدره ضحكا كسعال المهزومين امام هجمة الليل فى بقعة من الارض منسية . وتحمل خيبته كذلك . وتحمل ان يبقى مرة اخرى حيا ، حيا ، حيا ...

* * *

ـ انك لا تستطيع لمس يدى لانك ترانى فى الحلم . أنت لا ترانى الا فى الحلم . عندما ترانى فى اليقظة ...

ـ متى ؟

ـ قريبا . لقد وافقت المدينة أخيرا على أن أزورك فى الربيع .

ـ منذ مدة قلت لى انك زائرتى فى الشتاء !

ـ كان الفصل اذ ذاك خريفا .

ـ وفى الصيف قلت انك قادمة فى الخريف !

ـ الصيف كاذب . أنت تعلم أن الصيف يجعلنا نكذب من حيث لاندرى ، فهو وعد ، ولا يحق للوعد أن يعد .

ـ هو وعد أنت وعدتنى به ولم تأتى !

ـ كان على الربيع أن يعد بالزيارة فى الربيع . اذ لا يحق للفصول ان تبنى الوعد خارج حدودها .

ـ الصيف وعد ، والخريف فتور ، والشتاء اغفاءة ، والربيع كذب . وأنت؟

ـ سأزورك فى الربيع ··· لا تغمض عينيك حتى أغيب · فحلمك الآن صار صقيعا لا أتحمله ···

★ ★ ★

علت الضجة ···

خسر القابض · فهلل كل الجالسين حول الطاولة وضحكوا ·

وارتفع ضحكهم كلما صرخ فى وجوههم متهما اياهم بالحيلة والشماتة ، مهددا عيونهم بأصابع يديه الغليظة ·

كان القابض قد رمى ورقة · وادعى انه لم يكن يقصد رميها ، انما عثرت يده فيها فسقطت · ولم يرض خصمه ، ولم يمهله ، بل اغتنم الفرصة لكسب الجولة ·

قال القابض ـ أنا أعرف منكم بالحساب · ولم أكن لارمى ورقة رابحة لولا انكم شوشتم ذهنى بكلامكم الفارغ عن الاكواخ التى رحلتها الامطار فى سفح الجبل ·

قال خصمه ـ هل لك فى جولة أخيرة ؟

قال القابض ـ لن ألعب مرة أخرى ـ مع ثرثار مثلك · ثم انى لـم أعـد اتحمل حضور ذلك العجوز الاعمى ·

قال خصمه ـ انه لا ينظر الى أوراقك !

وضحك الجالسون مرة أخرى فارتعدت فرائص القابض ، وانبرى واقفا ، وأسرع نحو الشيخ ليفتك منه عصاه ويرمى بها خارج المقهى ·

لم يتكلم الشيخ ·

بقى ينتظر نباح الكلب · ولم ينبح الكلب ·

اشتعل القابض غيظا وعاد الى الشيخ ليهزه هزا كالزلزال ، صائحا :

ـ كم قلت لك من مرة ، انى لا أطيق رؤية عينيك المرمريتين !

وقف رجل هادىء الصوت وقال :

ـ لا دخل للشيخ فى خسارتك . دعه . انه يحلم .

صرخ القابض :

ـ فليحلم بعيدا . انا قابض المحطة وموضبها ولا أقبـل الا المسافـريـن والمودعين والمنتظرين . وهذا الشيخ يلازمنى يوميا لا أدرك لماذا وقوفه من الفجر الى المغرب بجانب شباكى .

قال الرجل :

ـ دعه . انه غريب .

ضحك بقية الرجال . واختلط ضحكهم بقرقعة رعد بعيد لكن القابض لم يهدأ .

بل صاح وكأن الرعد أوحشه :

ـ تحملناه فى شبابه لانه كان منفيا بيننا فى اقامة جبرية . ولكنه اليوم... ليعد من حيث اتى وليخلصنا من عينيه العمياوين اللتين تشعان حقـدا عـلى قطاراتى .

تقدم الرجل الهادىء وقال :

ـ دعه . انت تتذكر انه كان يحدثنا عن شخص وعده باللحاق به . لربما خشى ان يأتى الشخص ولا يكون هو فى الانتظار . ارجوك . دعه ولا تهتم به بعد اليوم .

صاح القابض مرة أخرى :

ـ كيف ؟ كيف لا اهتم به ، وقد صار يلازمنى ؟ انا لا احب العمى . ولا احب اعمى ينظر الى القطار . القطار لا يأتى الا لذوى البصر . القطار لا يحمل قادما أو رائحا الا لمن يرى القدوم والقادمين والذهاب والذاهبين .

ثم سكت منصتا الى خاطرة أوحى بها وميض برق ، وتمتم تحت دوى الرعد

ـ لعل المرأة التى ينتظرها أتت يوما ولم يرها ؟ لعلها لم تتعرف عليه لانه صار اعمى ؟ ثلاثون سنة مرت ، وهو لا يزال ينتظرها ؟

قال الرجل :

ـ هو الوفاء . أليس فى محطتك غير الذين ينتظرون واثقين من قـدوم واعديهم ؟

أجاب القابض :

ـ هي محطة ٠ وان كانت المحطة الاخيرة ، فانها محطة لمسيرة ٠ ولا مسيرة بدون تخطيط لموعد ٠ أنا أعرف الناس بذلك ٠٠٠

وعاد القابض الى الشيخ ليحمله ويرمى به فى الشارع حيث استقبله برق لامع ورعد كسخط الظلام ٠٠٠

لم ينبح الكلب ٠ لم يعد ينبح ٠ بقى ممددا تحت الطاولة التى كان يجلس اليها الشيخ ، وفى عينيه المفتوحتين فحمتان بللهما دمع بارد ، فانطفأتا الى الابد ٠٠٠

وعندما عاد القابض الى خصمه ليتحداه فى جولة أخيرة ، خرج الرجل الهادىء من المقهى ، وسار فى الليل المحشو مطرا ، حتى عثر فى الشيخ ٠ انحنى ليحمله ٠ لكن البرق كان اسرع منه ٠

حتى البرق لم يعد يقدر على ايقاد عينى الشيخ . فحمتان باردتان تدحرجتا مع الرعد وغاصتا فى الوحل ، وفى النسيان ٠٠٠

★ ★ ★

ـ هل حقا ان الربيع كذلك كذب ؟

★ ★ ★

أطلت من احدى النوافذ بعد ان غاب كل المسافرين ومنتظريهم ٠ لم يبق فى المحطة غير القابض ٠ اندهش عندما رآها ٠ فتح عينيه وسعهما ٠ وكتم صيحة ٠ ثم لم يتمالك ، فجرى اليها متطلعا فى غرابتها ٠

امرأة بيضاء فى ثوب من الحرير الابيض !

لم يسألها ولم تسأله ٠ بقى مشدودا الى عينيها البيضاوين ٠ دخل العربة وجلس الى جانبها ٠ لم ينطق ٠ ولم يعد يتنفس ٠ ولم يتنفس بعد ذلك أبدا ٠

قالت المرأة :

ـ انت هو اذن قابض المحطة !٠٠٠

وفى الصباح ، عندما قدم الرجل المكلف بتنظيف العربات ، وجد جثة القابض هامدة زرقاء ، مرمية على مقعد خشبى ، مهملة كندم قديم ٠

فتمتم الرجل وهو يحمله مع بقايا السجائر والاوراق الوسخة والاتربة :

ـ مسكين ! قتله البرد ٠٠٠

سمير العيادى

عصافير الفرح القادم..

شعر: محمد المهدي بن نصيب

بنهر من الشوق نسبحُ مثل الفراشاتِ ...
يُهربنا الاغترابُ إلى مدن الصمتِ في سلةِ الخوفِ
صادرت الكلمات الحزينةُ منا الشفاهْ
فيا واحة الحبّ هاتِ الذراعين ، وافتحي القلبَ كي
نستريح قليلا
ونسمع في لحظات التوجس قولا جميلا :
هُمُ سابحون بنهر من الشوق مثل الفراشات
يَحْتَرِقُونَ على شَفَةِ الأغنياتْ
ويأتون من قشرة الأرض
مِنْ قُمْقُمِ الرفض
يهدونني العشق .. حين اجاور في البيد حُزني
وأشرب من حانة التية قارورة الاحتضارْ
فأشرعُ ـ في الحرفِ ـ نافذة كي أداعبَ طيف النهارْ
وأحضن في واحة الكلماتِ غُصُون اشتياقي
وطيف رفاقي
فأسكبُ في أكؤس الحب آخر القطرات المضيئة منْ سيل عمري
أغنيهمُ الخلجات الجميلةَ من لحن شعري
هُمُ ـ الآنَ ـ زخةُ ضوء تَشُقّ ظلام الدياجير
تهطلُ فوق مراعي الشعور
وبيس تخوم البكاءْ !!

جدلية الشرق والغرب
في الرواية العربية المعاصرة

بقلم : محمد الباردي

ان موضوع الغرب لا يخلو من أهمية في الرواية العربية المعاصرة ذلك ان جل المعاني التي عالجتها الرواية العربية تطرح بشكل او بآخر قضية الغرب ، فمعاني المرأة والجنس والمثقف والثورة تخضع لعدة اعتبارات لعل الغرب أهمها. فالروائي العربي المعاصر روائي حديث في ثقافته ومفاهيمه ، اتصل بالغرب اتصالا مباشرا للدراسة او لاغراض اخرى واتصالا غير مباشر عن طريق الثقافة ذاتها وقد تأكد لنا ان هذه الثقافة هي ثقافة كتب قد تربط الصلة بين الشرق والغرب (1).

ولطرح جدلية الشرق والغرب كما تتراءى لنا من خلال الادب الروائي العربي سنعتمد على مبدإ الافادة منهجا في تحليلنا ذلك اننا سنقتصر على مجموعة من الروايات ذات الدلالات المفيدة صدرت في عدد من الاقطار العربية منذ الثلث الثاني من هذا القرن الى بداية السبعينات وللاجابة عن القضية المطروحة لا بد من الوقوف عند بعض مراكز الاهتمام الاساسية وهي :

1) اين يبدو حضور الغرب في الرواية العربية المعاصرة ؟

2) ما هي صورة الغرب كما يرسمها الروائي العربي المعاصر ؟

3) ما موقف الروائي من الغرب وكيف نفسر هذا الموقف ؟

---

(1) انظر بحثنا شخص المثقف في الرواية العربية المعاصر ابتداء من الستينات : صور ومواقف مرقون بكلية الآداب والعلوم الانسانية .

1 ـ حضور الغرب في الرواية العربية المعاصرة :

اذا عدنا الى رواية « عصفور من الشرق » لتوفيق الحكيم (2) وهي اولى الروايات العربية التى طرحت قضية الغرب ، تتجسم أوربا فى عظمة آثارها الفنية والادبية ، فلا ينتبه محسن وهو صورة الروائى ذاته الا الى ابرز اعلام الفن من أدب وموسيقى ورسم من امثال « هاندل » و « موزار » و « ميكل آنج » و « رفائيل » ولا يهتم الا بالمفكرين الذين لم يتخذوا من العقل وحده عقيدة وظلوا متعلقين بالقيم الروحية فى التفكير . شأن « باسكال » و « دانتى » و « تاليله » فنظرة محسن الى الغرب هى اذن نظرة انتقائية تخضع اساسا الى عقيدة الكاتب وموقفه الفكرى .

اما صورة الغرب فى رواية أديب لطه حسين (3) فهى الى الشمول اقرب ، فالغاية الاساسية التى الحت على بطل الرواية ودفعت به الى الهجرة تتمثل فى طلب العلم . بيد ان الغرب لا يتجسم فقط فى علمه (4) بل فى حياته كلها وان كانت متناقضة (5) وحياة الغرب هى « هذه الفتاة ذات الوجه المشرق والثغر المضىء والحديث الحلو والروح الخفيف » (6) وهى « هذه التماثيل » و « هذه المعاهد » الموجودة هنا وهناك فى مدينة باريس (7) وهى ايضا هذه الحرب التى اندلعت والتى ستجعل الناس « متأثرين بالغرائز اكثر مما يتأثرون باى شىء آخر ، مهدرين لما عرفوا من قيم الاشياء اهدارا ، مزدرين لما الفوا من المثل العليا » (8) .

---

(2) صدرت سنة 1938 .
(3) صدرت هذه الرواية سنة 1935 .
(4) ذلك ان العلم يعبر الينا البحر من أوربا وهو يسعى الينا فى دورنا ونحن نستطيع ان نلتمسه فيما يلقى من الدروس وفيما يؤلف من الكتب « أديب » ص 6 دار المعارف بمصر 1968 ص 82 .
(5) يقول البطل « واذا حيل بينى وبين هذه الرحلة فقد حيل بينى وبين الحياة واتصلت بى اسباب الموت » نفس المصدر ص 81 .
(6) انظر نفس المصدر ص 138 .
(7) انظر نفس المصدر ص 155 .
(8) انظر نفس المصدر ص 160 .

وفى رواية « أنا احيا » تعى لينا فياض حضور الغرب فى كل الاطر المكانية التى تعيش فيها من البيت الى الجامعة ، ففى البيت تلاحظ الهندسة التى تخصص قاعتين للجلوس احداهما عربية الاثاث والهيئة والثانية أوربية الشكل والاثاث أيضا . وفى الجامعة يتجسم الغرب فى اللغة التى تغزو العربى ، فتجعله يؤدى التحية بغير أصواته (9) كما يتجسم ايضا فى المؤسسة التى تعمل من اجل نشر السلام المزعوم (10) وهى فى الواقع مؤسسة استعمارية .

وفى رواية الحى اللاتينى لسهيل ادريس (11) لئن غادر الراوى وطنه كغيره من الشبان العرب للدراسة فان فرنسا تتجسم اساسا فى المرأة . ذلك ان الراوى تعرف على ثلاث نساء هن ليليان ومارغريت وجانين مونترو . واذا تتبعنا فصول الرواية فاننا ندرك ان الراوى وهو البطل الرئيسى وكذلك بقية الشخوص لم تحركهم فى فرنسا كلها الا المرأة فكأنهم ما هاجروا الا من اجلها (12) .

اما فى رواية « أصابعنا التى تحترق » للمؤلف نفسه (13) والتى تعتبر الجزء الاخير فى ثلاثية سهيل ادريس يتجسم الغرب فى « الفكر » الذى يبثه فى المجتمع العربى ، والثقافة الاجنبية يراها سامى ـ بطل الرواية ـ ثقافتين هما : الثقافة الغربية والثقافة الارجوانية ولكل ثقافة فى المجتمع اللبنانى انصارها ومدافعون عنها .

وفى رواية موسم الهجرة الى الشمال (14) للكاتب السودانى « الطيب صالح » يشد الغرب مصطفى سعيد بعلمه ونسائه . فمنذ كان البطل طفلا ادرك ان الحضارة الغربية تساوى التمكن من الفكر الغربى وعقله ، ولما انتقل الى انجلترا واستوعب فكر الحضارة الغربية لم يعد فى الحياة الجديدة الا المرأة

---

(9) انظر انا احيا ص 90 دار مجلة شعر ط 2 ـ 1963 .
(10) نفس المصدر ص 157 .
(11) صدرت هذه الرواية س 1954 .
(12) يقول الراوى « لقد اتيت الى باريس من اجلها » نفس المصدر ص 26 دار الآداب ـ بيروت .
(13) صدرت س 1962 .
(14) صدرت س 1965 .

ايضا . وهكذا اصبحت المرأة الانجليزية هى التى تحقق ذات الغرب وعبرها سيتخذ البطل موقفه الحضارى .

وفى رواية الفلاح (15) لعبد الرحمان الشرقاوى رغم كثافة الاحداث التى تمر بها القرية تظل أوربا حاضرة في ذهن الراوى المثقف. فتراه يتوسل الى الشيخ طلبه الا يذكره بفرنسا وبباريس وهو يشاهد « كرسى الميه » من طراز لويس الخامس عشر (16) فقد عاش فى مدينة باريس وهى مدينة المتناقضات الا ان ما لفت انتباهه هو الآثار والمتاحف ولا شىء غير ذلك .

اما فى رواية «الاشجار» أو «اغتيال مرزوق» (17) فالغرب هو العلم منجز الحياة الجديدة وهو الرقص والموسيقى والانشراح وكلها مظاهر حياة تجسمها كاترين التى تعرف عليها منصور عبد السلام عندما كان طالبا فى بودابست واعضاء بعثة الآثار الذين عاشرهم عندما هاجر الى بلد عربى للعمل .

وفى النهاية يبدو الغرب فى رواية «حبيبتى ميليشيا» للروائى الفلسطينى توفيق فياض (18) من خلال الصحفية الانجليزية التى جاءت لتتعرف على القضية الفلسطينية .

من خلال هذه النماذج الروائية ندرك ان حضور الغرب فى الرواية المعاصرة هو حضور مادى اساسا . ويتمثل خاصة فى المؤسسات العلمية والفنية او فى المرأة . بيد اننا يجدر ان نلاحظ ان حضور المرأة ليس فى ذاته ذلك ان الروائى العربى لا يرصد قضايا المرأة الغربية ومشاكلها الموضوعية بل يتخذ منها رمزا يدل على حضارتها فهى اذن أداة من أدوات الروائى العربى ، يستعملها ليعبر عن موقفه الفكرى من الغرب . كما نلاحظ ايضا ان حضور الغرب لم يتغير فى نوعيته منذ نهاية الثلاثينات الى منتصف السبعينات وعملية الاكتشاف واحدة بالنسبة للبطل الروائى ــ فهو يكتشف الغرب اما داخل المجتمع العربى عن طريق اشخاصه ومؤسساته العلمية او داخل المجتمع الغربى بنفس الطريقة تقريبا .

---

(15) صدرت س 1968 .
(16) انظر « الفلاح » مؤسسات بن عبد الله 1965 ص 71 .
(17) صدرت سنة 1973 .
(18) صدرت سنة 1976 .

2 ـ صورة الغرب فى الرواية العربية المعاصرة :

رغم التشابه الذى نجده فى الرواية العربية المعاصرة فى تشخيصها للغرب فاننا نلاحظ ان صورة الغرب فيها ليست واحدة ، بل هى متنوعة .

ففى رواية « عصفور من الشرق » ينظر توفيق الحكيم الى الغرب من الداخل ثم من الخارج والصورة التى يخرج بها قائمة اساسا عـلى التناقض . فالغرب يقيم حياته على التناقض الذى يبدو فى العلاقات التالية التى يمكن استخراجها من الرواية ذاتها :

أوربا المادة ± أوربا عظمة الفن .

أوربا خفيفة انسانية ± أوربا جميلة ذكية .

أوربا الرأسمالية ± أوربا الاشتراكية .

أوربا الاغنياء ≠ أوربا الفقراء .

كما يقيم الغرب ايضا مع الشرق علاقة اساسها التناقض وسمات التناقض فى الرواية تبدو فى المعادلات الآتية :

أ ـ العلاقة بين محسن وأندرى :

محسن ± أندرى .

خيـالى ± واقعى .

اخـلاقى ± لا اخـلاقى .

مثقف مثـالى ± مثقف مهتم بمشاكل العمال .

لا منطقى ± منطقى .

ب ـ العلاقـة بين الغرب والشرق :

الشـرق ± الغـرب .

الحلـم ± الواقـع .

السماء ± الارض .

المسيح ± المشعوذ .

السيد ± العبد .

الجهل ± العلم .

ان الغرب بالنسبة لتوفيق الحكيم هو الغرب الذى يعيش ازمته الداخلية ، فلا النظام الراسمالى ولا النظام الاشتراكى قادران على حل هذه الازمة وتجاوزها . فالرأسمالية حولت العمال الى عبودية العصر الحديث (19) والاشتراكية التى « امست بدعة من البدع يتبعها الناس مقلدين (20) الـقى صاحبها » قنبلة المادية والبغضاء واللهفة والعجلة بين الناس يوم افهم الناس ان ليس هناك غير « الارض » يوم اخرج « السماء » من الحساب ، لان علم الاقتصاد الحديث لا يعرف السماء » (21) وهكذا ضاع الغرب « يوم أفاق من هذا الحلم ونزل الى عالم واقعه ، يدب من هضابه المتحجرة ووديانه الجافة كما تدب الحشرات » (22) .

اما صورة الغرب فى رواية « أديب » لطه حسين فهى تختلف عن صورته فى رواية «عصفور من الشرق» فرغم الازمة الحضارية التى مر بها وتبلورت فى اندلاع الحرب الكونية الثانية التى ستؤثر فى قيمه تأثيرا ذا بال فانه يظل لدى طه حسين منتج حضارة خصبة حافلة « بالنفع والامل لا لاهل باريس ولا لاهل فرنسا بل للناس جميعا ومنهم هؤلاء الاعداء الذين يقدمون على باريس ومعهم الموت يريدون ان يصبوه عليها صبا » (23) .

ويلتقى مع طه حسين فى هذه الصورة التى ترسم للغرب مجموعة من الروائيين هم سهيل ادريس وعبد الرحمان الشرقاوى وعبد الرحمان منيف .

---

(19) يقول والد اندرى « نحن عبيد القرن العشرين ومتى كان للعبيد حق الاعتراض او حق الاقتراح » عصفور من الشرق ص 36 .

(20) نفس المصدر ص 38 .

(21) نفس المصدر ص 82 .

(22) نفس المصدر ص 98 .

(23) انظر أديب ص 155 .

ففى رواية « الحى اللاتينى » وان كانت صورة الغرب فيها باهتــة لا يــرى الراوى لا الثقافة الثورية التى كان يروجها وقتئذ الوجوديون فى فرنسا (24) واذا اعتبرنا قيمة المراة فى الرواية وفسرنا دلالتها تتراءى لنا اوربا فى صور ثلاث وهى :

1) اوربا الاستعمارية وتبدو لنا من خلال شخصية ليليــان التى انشدت الراوى قصيدة لجاك بريفار على انها من شعرها ثم سرقت نقوده ومضت .

2) اوربا المستلبة وتبدو من خلال شخصية مارغريت التى لم تعثر على ذاتها من خلال علاقاتها الجنسية (25) .

3) أوربا المأزومة التى تعيش تناقضاتها الداخلية وتبدو لنا ايضا من خلال شخصية جانين التى خدعها خطيبها واضطهدها اهلها فعاشت مــرارة الحيــاة وقسوتهــا .

وفى رواية « أصابعنا التى تحترق » للكاتب نفســه يقدم الصــورة ذاتهــا تقريبا فالغرب يعيش صراعا حادا . بين ثقافتين متناقضتين هما الثقافةالغربية والثقافة الارجوانية اى الشيوعية . وفى رواية « الفلاح » يرسم عبد الرحمان الشرقاوى صورة التناقض ذاتها ، فمدينة باريس هى مدينة المتناقضات « مدينة الافاقين والصعاليك والغجريات والمهربين والشحاذين وهى مدينة الثوار الاوائل والمناداة بالحرية والتحرير » (26) .

وفى رواية « الاشجار او اغتيال مرزوق » عاش منصور عــبد الســلام فى الغرب عندما كان طالبا واتصل به اتصالا عميقا من خلال احــدى بناته ومــن خلال معايشته له ادرك وضعية وطنه فكان الغرب موطن العلم والتقدم فى حين كان الشرق موطن الجهل والتخلف (27) وما وصل اليه الغرب من رقى حضارى وملء اهله ليس فى الشرق سوى امنيات عزيزة المنال (28) .

---

(24) انظر الحى اللاتينى ص 88 .

(25) تقول للاديب بعد فشل العلاقة « ابتعد عنى » كلكم هكذا انتم الرجال .. أنانية قذرة » انظر نفس المصدر ص 75 .

(26) انظر الفلاح ص 2 — 3 .

(27) انظر الاشجار ص 120 .

(28) انظر الاشجــار ص 188 .

ان هذه الصورة التمجيدية التي تعترف بما للغرب من تفوق حضاري عامة تناقضها صورة اخرى رسمها مجموعة من كتاب الرواية العربية هم ليلى بعلبكي والطيب صالح وتوفيق فياض .

فالغرب فى رواية « أنا احيا » هو الغرب الاستعمارى فمن خلال لغته وطريقة حياته ومؤسساته الثقافية والادارية يغزو المجتمع العربى ويهدد شخصيته وكذلك مصطفى سعيد بطل رواية «موسم الهجرة الى الشمال» ما أباحت له بيئته السودانية ان يرى فى أوربا الا استعمارا ازرق و « دار حرب » يجوز فيها الغزو والسبى والتدمير ، الا سفاحا وشبقا مفضوحا يبادر بفحولة الذكور ، أما الانسانية فى أوربا فما رآها الا فى لحظة المأساة حين تتجلى الحقيقة عارية مضرجة بالدماء (29) ولكن الراوى يرى أن هذه المعادلة غير المتكافئة التى تصر عليها أوربا على لسان أحد ابنائها فى قوله : « كل هذا يدل على أنكم لا تستطيعون الحياة بدوننا كنتم تشكون من الاستعمار ولما خرجنا خلقتم أسطورة الاستعمار المستتر ، يبدو ان وجودنا بشكل واضح او مستتر ضرورى لكم كالماء والهواء » (30) أو فى قوله ايضا : « تؤمن بخرافات من نوع جديد ، خرافة التصنيع ، خرافة التأميم ، خرافة الوحدة العربية ، خرافة الوحدة الافريقية » (31) هى محاولة ستتغير بحكم الصيرورة التاريخية فالاستعمار سيتحول مع مرور الزمن الى خرافة عظمى ولذلك فهو يدعو الى حرق صورة القداسة والتعظم التى رسمها الوطن العربى بحكم عصور التفوق الحضارى فالاوربيون باستثناء فوارق ضئيلة مثل العرب تماما» يتزوجون ويربون أولادهم حسب التقاليد والاصول ولهم اخلاق حسنة وهم عموما قوم طيبون .. فيهم مزارعون وفيهم كل شىء ، منهم العامل والطبيب والمزارع والمعلم مثلنا تماما .. بينهم مستضعفون ، بعضهم اعطته الحياة اكثر مما يستحق وبعضهم حرمته الحياة لكن الفروق تضيق وأغلب الضعفاء لم يعودوا ضعفاء » (32) .

اما دهرية الثقفة الفلسطينية فى رواية «حسين ميليشا» من خلال الصحفية الانقليزية حين ترى الغرب مضللا لم يصل بعد الى معرفة الحقيقة نتيجة تأثير وسائل الدعاية الصهيونية المؤثرة .

---

(29) توفيق بكار – الثابت والمتحول – موسم الهجرة الى الشمال ، دار النشر للجنوب 1979 ص 22 .

(30) الموسم ص 73 .

(31) الموسم ص 73 .

(32) انظر موسم الهجرة الى الشمال ص 31 .

هذه اذن صورة الغرب كما تتراءى لنا من خلال بعض النماذج الروائية التى حللناها وهى صورة تمجيدية حينا ونقدية حينا آخر وهى لا تخضع الى عامل الزمن ، فصورة الغرب فى الرواية العربية فى النصف الاول من هذا القرن ليست صورة واحدة وكذلك الشأن بالنسبة للنصف الثانى منه،فالصورة اذن حسب اعتقادنا مرتبطة اساسا بالمكونات الفكرية والعقائدية التى ينتمى اليها الروائى ذاته . وستبدو هذه الفكرة أوضح عند الحديث عن موقف الرواية من الغرب .

3 ـ موقف الرواية العربية من الغرب :

ان الابطال فى الرواية يعبرون بطريقة او بأخرى عن مواقف الروائيين ، والرواية العربية تقدم لنا ثلاثة مواقف رئيسية تجاه الغرب :

1) موقف رافض :

مما لا شك فيه ان توفيق الحكيم فى روايته « عصفور من الشرق » وعلى لسان بطله محسن ، يدين الحضارة الغربية جملة وتفصيلا ، فهو وان حاول تبرير الرأسمالية اعتقادا منه انها الواقع المحتم (33) يدين الراسماليين ادانته للاشتراكية وذلك على لسان ذلك العامل المتصوف الروسى الهارب من الاشتراكية » (34) بيد ان الحكيم يتجاوز فى نقده النظام السياسى والاقتصادى ليهجو انجازات الحضارة الاوروبية ويدين انبل ما فيها من انجازات ديمقراطية عظيمة ، بما فى ذلك ديمقراطية التعليم فأصبحت « عادة القراءة » لدى الغربيين فى اعتقاد المؤلف عادة رذيلة كعادة تدخين السجاير (35) وهكذا يصبح الشرق ذاك الفردوس المفقود الذى يجدر البحث عنه والانتماء اليه ، فيظل ايفان العامل الروسى يحن وهو فى اللحظات الاخيرة من حياته الى الشرق معتقدا ان الدهماء هى الدهماء ولا اصلح لقلبها وعقلها من وسائل الشرق الطبيعية فى التهذيب (36) .

---

(33) يقول محسن « نعم » لن يذهب الرق من الوجود .. لكل عصر رقه وعبيده « عصفور من الشرق » ص 36 .

(34) شجاع ملحم العاتى ـ الرواية العربية والحضارة الاوربية ـ الموسوعة الصغيرة 31 منشورات وزارة الثقافة والفنون 1979 العراق ص 49 .

(35) انظر عصفور من الشرق ـ دار الكتاب اللبنانى ط 2 ـ 1980 ص 171 .

(36) انظر عصفور من الشرق ص 173 .

ان موقف توفيق الحكيم من الغرب واضح فى روايته . فالحقيقة التى اكتشفها محسن بعد تجربته الغربية هى ان « النور يشرق من بلاد الشمس ليغرب فى بلاد الغرب » (37) فالتواصل بين الحضارتين حسب الحكيم مفقود ذلك ان الشرق شرق والغرب « غرب » بل ان التناقض الذى يتحكم فى هذه العلاقة يجعل اللقاء مستحيلا .

ان نظرة توفيق الحكيم المغرب تخلو من كل تفكير جدلى ، فهو لا ينظر اليه فى كليته وشموله وجدليته بل ان نظرته قائمة على التجزئة المقصودة . فهو يعتبر الغرب نقيضا لكنه لا يحلل هذا النقيض فى شموليته باعتبار ان المجتمع الغربى هو حلقات متواصلة انتجتها ظروف موضوعية ، فهو لا يرى مثلا ان الصراع الطبقى الذى نجم عن الصناعة الكبرى نتيجة حتمية للنظام الراسمالى نفسه بل يعتبره من صنع ماركس .

ولقد رأى بعضهم فى هذه الاراء « ليست مغرقة فى الرجعية والسلفية فحسب بل ويمكن اعتبارها خيانة وتضليلا قوميا (38) وفى هذا الراى شيء كثير من الصواب . ذلك ان توفيق الحكيم انطلاقا من نزعته السلفية لم يدرك حقيقة الغرب ادراكا موضوعيا وبالتالى لم يستطع ان يفهم كذلك العلاقة الموضوعية التى يجب ان تكون بين الشرق والغرب .

اما ليلى بعلبكى فى روايتها « انا أحيا » فان موقفها من الغرب يتسم بدوره بالرفض لكنه رفض يقرب من التمرد الوجدانى ، فلينا فى عقر دارها تحس بشيء من التمزق بين الشرق والغرب وفى الجامعة تعلن عن رفضها للغة الغرب التى يستعملها الشباب العربى فى حياتهم اليومية وتندد بالشاب الذى واجهها بالتحية (39) وبعد تجربتها فى المؤسسة الثقافية تقدم استقالتها وقد اقتنعت انها مؤسسة ذات غايات خطيرة .

الا ان موقف ليلى بعلبكى خلفياته مغايرة ، ذلك ان المؤلفة ترفض الغرب الاستعمارى الذى يسعى الى طمس الشخصية العربية واستلابها ، ففى هذا الرفض اذن رفض لعلاقة لا متكافئة قائمة على الهيمنة الحضارية .

– يتبع –

محمد الباردي

---

(37) انظر الرواية ص 180 .

(38) الرواية العربية والحضارة الاوربية شجاع ملحم العانى ص 53 .

(39) نفس المرجع السابق .

سِهام !!!

شعر: محمد الطوبي
(المغرب)

— س —

شاهرًا فرحَ العمْر منْ اخر اليأْس ..
اتيك برقيّةً طرّزتْها التباشيرُ ،
وهَجُ الحكايا التي أزْهرتْ في ابتهاج الصبا والمدامْ ..

— هـ —

لك منْ نجمة القمْح هذا المقامْ
لكَ أغنيتي منْ حنين القرنفل ..
منْ نشوة الورد ..
أختاه كيف أفجّرُ صاعقةَ الياسمين
وخارطةُ العمر طافحةٌ بالمرايا
وصادحةٌ في المدى صبَواتُ الحمَامْ ؟.
كيف أثقبُ ذاكرة الماءِ ؟
كيف أفسّرُ زَهو الغزال
يلاحقهُ قمرٌ غاصَ في خُضْرة الأمنيات وهَامْ ؟.

— ا —

خطْوتان من العطْر ،
في سُورتيْن من الفجْر ،

فيِ سوْسنٍ يتوجّع شوْق الرخـامْ ..
يُطلعُ العشقُ سنبلـةً ونشيـداً ..
وقد يخلقُ العشْقُ أسعاورةً ،
ولك الحلم أنْ تدْخُليه
وأن تُشْعلِي الورْدَ فيـه ..
لك الوقتُ ، زغردة الحنّـة ، الشمعُ
والأمـلُ المتقدّمُ في شفقٍ لا ينـامْ ..
لك إشراقةُ الرحْبُ
يغزلُ بالضوء ميلادَهُ
في صباح من النرْجس المتدفّقِ
في شهـوات النـدى والغمـامْ ..

— م —

إنْ أتـاكِ احتفالُ العصافير رُدّي السلامْ ..
وخلّي شواطيء كفيكِ اللهِ يسكبُ فيهـا
عبيرَ الضيـاءِ الذي يشتهيهـا ..
فمِنْ هـاجس الصحْوِ ،
أوْ فـاصل السّهْوِ ..
يبـدأ عصْر مفـاجـأة العـاشق المتورّط فيكِ
يُرتّلُ بين يديكِ فُروضَ الهُيامْ ..
كلمـا سـأأوهُ يُنـادي : سِهـامْ ..
سِهـامْ ..
سهـامْ ..
ولا يسْتطيـع الكلامْ ..

محمـد الطوبي

إيقاع الشعر العربي على ضوء التجارب المخبرية

بقلم : محمد العياشي

« صفحات من كتاب « الكميات اللفظية والكميات الايقاعية فى الشعر العربى » لمحمد العياشى » .

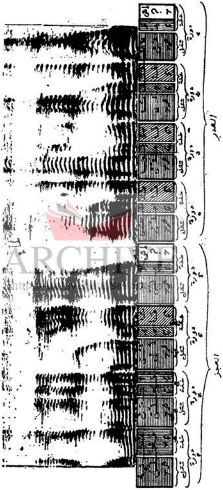
ذلك تحليل بسطت فيه قضية « الاهتضام » فى إيقاع الشعر العربى ؛ فاجتهدت فى بيانها ـ ما استطعت ـ معتمدا فى ذلك على تجربتى الحسية ووسائلى الذهنية بما أعتقد أن فيه كافيا من الشبهة وشافيا من الحيرة . ولكن تجربة أخرى طالما نازعتنى نفسى لاجرائها وهى تجسيم الحركة الايقاعية للبصر بواسطة السوناغراف . فتوفقت الى ذلك فى مطلع هذه السنة 1978 فأجريت عدة تجارب سوناغرافية فى مخبر جامعة جوسيا لعلوم الصوت بباريس . فدرست عدة قضايا منها مسألة الاهتضام ومختلف الكميات الايقاعية فى الشعر العربى .

وفى ما يلى تمثيل سوناغرافى لبيت شعرى يبرز ما له من الخصائص الحركية والكميات الزمنية .

ولا القلب ناس لما قد مضى   ولا تارك أبدا غيه

وهو من الخبب المتقارب الذى عالجناه بالتقطيع على خلاف ما عالجه به الخليل وكل الناس بعده طيلة اثني عشر قرنا .

التمثيل السوناغرافي للبيت



ونقتصر فيه على ملاحظة المناطق (أ) (ب) (ج) (د) (هـ) التى تمثل مختلف الكميات التى يهمنا شأنها فى هذه المرحلة . وهى كميات المقصور والممدود والهاضم والمهضوم وحتى المقطع المدود بتسهيل الجمع . وننبه منذ البداية الى ان جميع المناطق المذكورة متساوية بعضها مع بعض فى القيمة الزمنية لان الخبب المتقارب إيقاع ثنائى يتألف من أربع وحدات زمنية فى حركتين خفيفة وثقيلة. فتشتمل كل دورة منه على منطقتين الاولى خفيفة وتستغرق وحدتين . والثانية ثقيلة وتستغرق وحدتين .

1) المنطقـة (ج)

فأما (ج) ففيها تجسيم للمقصورين (أب) من (أبدا) ويستغـرق كـل واحد منهما وحدة زمنية واحدة لا أكثر ولا أقل فيقتسمان المـدة المخصصـة لمنطقة الخفة بالسوية ونسميها (تـك تـك) .

2) المنطقتـان (ب) و (د)

وأما (ب) و (د) ففيهما تجسيم للممدودين (كن) من (تاركن) و (دن) من (أبدن) فهما متساويان يستغرق كل واحد منهما وحدتين واقعتين فى منطقة الثقل من الايقاع ونسميه (دم) .

3) المنطقـة (أ)

وأما (أ) ففيها تجسيم للهاضم والمهضوم (تـار) من (تـاركن) وتستغرق وحدتين واقعتين فى منطقة الخفة ويتجلى فيهما بوضـوح امتـداد الاول على حساب الثانى بمفعول الاهتضام . فيستغرق الهاضم وحدة زمنيـة ونصفـا ويستغرق الثانى نصف وحدة . والجملة وحدتان . وهو مـا يضمـن سـلامة الكميات الايقاعية . ونسميها (تـا ك تـ) .

4) المنطقـة (هـ)

وأما (هـ) فتجسم منطقة خفة تحول فيها المقصوران ممـدودا إثـر عمليـة تسهيل بالجمع . ويعمرها المقطـع (غيـ) مـن (غيـه) ويستغـرق مـدة المقصورين المتحولين وهى وحدتان زمنيتان . وننبه الى أن المقطـع الممـدود المعني خفيف ــ خلافا لما يكون عليه المدود عادة ــ وذلك لوقوعه فى منطقـة الخفة . ونسميه (تـاك) .

وهكذا يكون تصنيف المقاطع اللفظية الناطقة فى البيت المعني كالآتى :

أ - المقصور وهو خفيف يستغرق وحدة زمنية

ب - الممدود وهو ثقيل يستغرق وحدتين

ج - الهاضم وهو خفيف يستغرق وحدة ونصفا

د - المهضوم وهو خفيف يستغرق نصف وحدة

ه - الممدود بتسهيل الجمع وهو خفيف يستغرق وحدتين

هذا ومما تجدر ملاحظته فى هذا التمثيل السوناغرافى ، الى جانب أصناف المقاطع ومختلف القيم الإيقاعية الجزئية والجملية ، وهو انضاح الحدود التى تفصل بين الدورات الايقاعية فصلا يجعل كل دورة فى البيت ناطقة باستقلالها عن بقية الدورات على النحو الذى اقترحناه فى النظرية .

الكميات الايقاعية الساكتة

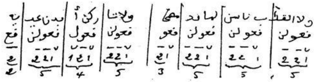
لقد أتينا على ذكر الكميات الناطقة فى إيقاع الشعر العربى . وهناك كميات اخرى لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار .. وهى العناصر الايقاعية التى تتوقف عندها الحركة ويستمر الوقت كأن لو كانت عامرة ناطقة . وهى حالات كثيرة ومتنوعة قد أشرنا فى النظرية الى كل تفاصيلها . فلا شأن لنا بمراجعتها الآن ولا هدف لنا فى هذا المقام الا إثبات حقيقتها والتدليل على صحة وجودها فى الشعر العربى كالذى توخيناه فى إثبات حقيقة الاعتضام .

والمختصون أنفسهم لم يتقبلوا لغة الكميات الناطقة ، فكيف يطمئنون الى نظرية تلهج بذكر الكميات الساكتة . ولكن هذه اللغة إن لم تؤلف فى إيقاع الشعر فانها مألوفة مأنوسة فى إيقاع الموسيقى . وما تخلف أرباب الشعر والنقد والعروض عن ركب المعرفة الا لتشبثهم بنظرية بائدة أخنى عليها الدهر . بيد أنهم لو نهضوا الى الامر بما يلزم من الحزم والجدية ولو نفضوا عن عقولهم غبار الاوهام ولو تعلموا كيف يتحسسون الايقاع بالاذن لانكشفت لهم الحقيقة واضحة لا يشوبها التباس .

نعتبر هذا البيت الذى كنا تدبرناه عند دراسة الكميات الناطقة :

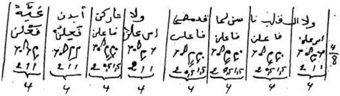
ولا القلب ناس لما قد مضى ولا تارك أبدا غيه

والعروضيون يقطعونه كالآتي :



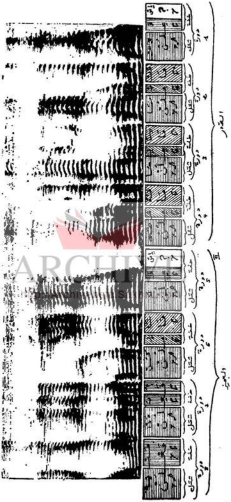
ويبدو التفاوت الكمي بين الدورات بهذا التقطيع فاحشا مؤسا بما يزهد فى اعتبار الطبيعة الكمية لايقاع الشعر العربى . وفعلا فانه لا يمكن لايقاع أن يستقيم فى دورات تتفاوت بينها بهذا الشكل فتتراوح بين وحدتين وثلاث وأربع وخمس وحدات . وما هذا التفاوت وما هذا الخلط الا نتيجة لعجز علم العروض قصوره عن ادراك الحقيقة فى هذا المجال .

ولو دعيت الى تقطيعه لتحسسته بالاذن قبل أن أعالجه بالبصر وأتدبره بالفكر وإذن لقطعته كما يلى :



واعتبرته خببا متقاربا متآلفا من ثمانى دورات متساوية تستغرق كل واحدة منها أربع وحدات زمنية اثنتان منها فى منطقة الخفة واثنتان فى منطقة الثقل . فأما منطقة الثقل فثابتة على أية حال (لـن) . وأما منطقة الخفة فتتعرض الى تحولات مختلفة . فيعتريها الاسكات والجمع والاهتضام الى جانب صيغتها الاصلية . وهنا أيضا يبدو اللجوء الى السوناغراف لتشخيص الكميات الساكتة به أمرا متأكدا .

التمثيل السوناغرافي للبيت

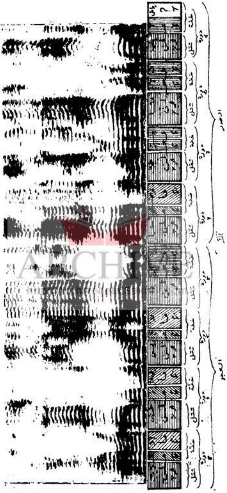


فلننظر الى الدورات (2) (3) (4) ولنلاحظها جيدا فانها تكاد تنطق باستقلالها بعضها عن بعض على النحو الذى اقترحناه فى النظرية بفضل تلك الاودية العمودية البيضاء التى تفصل بينها ولاحظ تساويها فى مناطق الثقل وحتى فى مناطق الخفة المتعرضة كلها الى تسهيل الاهتضام وقارن بينها وبين الدورة الاولى تجد فى هذه عنصرا ساكتا لم يشخصه السوناغراف . وكيف له بتشخيصه وهو لم يسمعه ؟ وانظر الدورة الخامسة تجد فيها نفس الشيء وتلاحظ ان الجهاز الالكترونى قد دون الوقت الذى كان العنصر يعمره لو كان ناطقا . وذلك العنصر الساكت هو الذى أضمه الى الدورة الخامسة وأسميه (إس) وتكون الدورة به (إس علن) والدورة الموالية (فاعلن) . والدليل على سكوته فى هذا البيت الذى يسمى العروضيون عروضه (فعو) هو نطقه فى البيت الذى يسمون عروضه (فعول) أو (فعولن) . وإذن فلا بد من وقت يشغل الايقاع فى ذلك الموضع يكون فيه المقطع إما مقصورا (ل) أو هاضما (لن) أو ساكتا (إس) .

وانظر هذا البيت الذى تغنيه الفقيدة المرحومة أم كلثوم :

أبيت أسامر نجم السما   اذا لاح لى فى الدجى أو غرب

وقد حذفت الهمزة فى (السماء) فكانت العروض (فعو) . أفرأيت لو نطقت تلك الهمزة اذن لاحتاج المنشد الى ذلك الوقت الساكت لاستيعابها فيتسع لها ولا يضيق عنها . وفعلا فان هذه الاغنية مما أخذته الفقيدة عن استاذها الشيخ أبى العلاء محمد وهو لا يحذف فيها الهمزة . فاذا انتهى الى موضعها أنطقها فانضمت المقاطع بعضها الى بعض بلا سكوت.فاسمع الاغنية من أدائه ومن أدائها وستلاحظ ذلك بنفسك . وقد أبيت إلا أن استغل هذه الظاهرة فى البحث فتعمدت تسجيل البيت على طريقة أبى العلاء من ذكر الهمزة فسجلها السوناغراف فى الموضع الذى كان خاليا فى البيت السابق . ولو حذفت لبقي موضعها شاغرا شغوره فى الدورة الاولى (إس أبيـ) . انظر التشخيص السوناغرافى التالى :



التشخيص السوناغرافي

- انتهى -

محمد العياشي

هذا الذي نادى به "طنجة"

شعر: محمد الأغنج

بعُرى الصداقةُ تعقدُ الآمالُ — وبها يلوح السعد والإقبالُ
لرقيِ « مغربنا الكبير » وعزه — تُجلى الغيومُ وتُنجَزُ الأعمَال
ويعود للتاريخ سابق عهدهِ — وتُمدّ للمجدِ الأثيل ظلال
يا عيدَ مغربنا الكبير تحية — والعينُ تطفرُ دمعُها سيّالُ
تهفو لقائدنا الحبيب قلوبنا — ويخصهُ الإعجابُ والإجلال
هذي « الجزائر » وهي جارتنا لها — كلٌّ عظيم حبه ميّال
الشعرُ أحرى أن يصوغ خوالجا — لمشاعر يغريك منهُ جمال
وافاك يا شعبَ « الجزائر » قائد — جَلْدٌ صبور باسل رئبال
هذا الذي ما انفك في عزم لهُ — يولي الجهود وما تنتهُ جبالُ
هذا الذي ضحى بعزّ شبابه — في خلق أجيال لها استبسال
هذا الذي بهر الشعوب بأسرها — ولئن عراها معضل حلاّل
فلهُ من القول الجريء مواقف — وله من العمل المجيد خصال
إهذا الذي نادى « بطنجةَ » عندما — كان الدخيل بأرضنا يختال
نذ عاش في طول البلاد وعرضها — وللحمْنا واقوتنا أكّال
ادى بوحدتنا ودعم صفوفنا — والفكرِ منه مُفَتَّحٌ صَوّال
واليوم في أرض « الجزائر » يلتقي — لبناء صرح عزّ منهُ منال
ويحقق التاريخ ما أفضتْ به — تلك الجهود وتثمر الأعمال
ولعل يسرع إخوة بدخولهمْ — ولعلّ فيهمْ تفلحُ الأقوال
هذي مسيرتنا تواكبُ عزمنا — والقول فعل والرهان رجال

المفتعل بين الدين والتاريخ

بقلم : فوزي هلال

لقد أثبتت فلسفة التاريخ التى تبحث عادة فى الوقائع التاريخية وعلم الحادثات من خلال النظر البعيد وسير تحركات الامم وطبائع الدول وسجاياها ٠٠ والتى تسعى على قمة من الخلاف والتباعد الى تحديد سلم التطورات التدريجية وابراز القوانين العامة التى تتطور بموجبها الامم والدول بتأثير جملة من العوامل الحياتية والانسانية وغيرها.. ان التاريخ يقع فى علاقة قوية مع الدين وأن ما بينهما تكامل لا يتجزأ ٠٠ باعتبار ان الدين هو أبرز مقومات الحياة البشرية ٠٠ واذا كانت قوى الانتاج لم يقدر لها العيش الا بين مجتمعات قليلة كالمجتمعات الغربية فان الدين قد عم البشر جميعهم ولم يعثر الى حد الآن عن قبيلة أو قوم مهما تغلغل عنصرهم فى القدم ومهما نأت بهم المسافة لا يعرفون الدين أو ليس لهم شكلا من الاشكال الدينية وطقس من طقوس العبادة استنادا الى الاعتقاد الفطرى فى القوة الخارقة للطبيعة والتى يسير الكون وفق سننها ومشيئتها مهما تكن معتقداتهم بدائية بسيطة فانه قد توفر فيها الاستعداد الفطرى ما لم يوفره الماديون للاعتقاد فى المادية التاريخية وفى الاقتصاد أقوى عوامل الحياة وأهمها فى التأثير فى سير الوقائع التاريخية وأقدرها على فرض قانونه العام فى حركة التاريخ ٠٠

لكن المسألة ٠٠ هل أن تاريخ الرسالات السماوية هو تاريخ البشرية وأن الدين وحده الذى ينضوى الى سلطانه سر التطور وتكمن وراءه حقيقة التاريخ؟

هل أن قانون التطور تجربة دينية وصبغة طبيعية ؟ أم أنه تفاعل مكتسب من قساوة الطبيعة وطبيعة الفكر ؟

لا بد بين الحقيقة والواقع من وشائج قربى ٠٠ ولا بد بين الدين والتاريخ من تكامل ٠٠ ولا شك ان الحقيقة لا تقبل التجزئة اذا كان هيكل الحياة يسير

وفق قوانين معينة بعيدة عن ادراك البشر ٠٠ وان الكون كل ما يحيط بناظرنا وما استقصى مداه ٠٠٠ ما نعرفه وما لا نعرفه ٠٠ لا ريب فى صلة بين المنظور وغير المنظور منه ٠٠ والدين يقع حتما فى هذه العلاقة حتى يحول دون تردى البشرية فيما آلت اليه من سوء ٠٠ وليس أدل على ذلك من هذه الاضداد المتباينة والصراع الذى لا نهاية لشجونه ٠٠ لكن المادية وحدها لا تعنى الا ما ندرك ولا مكان للمطلق بين بنودها .. وان نحن حددنا المطلق مفهوما فانه لم يعد مطلقا وسينضوى الماورائى فى عالم المادية ويصبح الفكر البشرى أسير المادية تحجب عنه ضياء الدين وتعوده على أن يدرك الا ما أدرك وأنه فى غير هذه الطريق سينطلق من اللاشيء وسرعان ما يعود ولا شيء معه ٠٠ وبذلك تقوم الفكرة الاساسية المجردة مقام المنطلق الاساسى الذى أرسى قواعده العامة على الحقيقة الازلية والافق الواسع لتحرك الفكر البشرى وتحرره من رواسب المادية ومن المركبات ٠٠

ان مفهوم التاريخ يقع حتما فى علاقة واضحة مع الماورائية الميتافيزيقية اذا انتهت الاسباب الاولية للحادثات الى سبب أخير ومادى وتحدد مفهوم الوقائع تحديدا ميتافيزيقيا فى الفلسفات المثالية فان التاريخ لم يعد لديها موضع اهتماماتها وستضع المادية التاريخية قوى الانتاج قانونا عاما وستصرف اليه اهتماماتها ويصبح التاريخ ثانويا فى مقرراتها ٠٠

لكن الطبيعة البشرية التى تنصهر تحت لوائها الاجناس بمختلف عناصرهم ومختلف بقاعهم وأزمنتهم انما هى طبيعة ذات صبغة دينية تجمع البشر كلهم فى صعيد واحد وهذا ما نجده فى الفلسفات المثالية وفى الفلسفات الدينية والوجود الانسانى كله يخضع لقيمة محددة وينطلق من منطلق معين الى ساحة الماورائية فبين الفكر الانسانى المتحرر وغرائزه المتحجرة جدار تكاثفت صخوره وتحجرت على مر الايام وبينماديته وروحه موقف..وانه ان اطاع العقل والروح وهما العنصران القويان فى الكيان الانسانى فانه سينطلق لا محالة .. وان أطاع مادياته فتكبله بالاغلال والاصفاد ولن يجد له نصيرا ٠٠ وانه ان غلب الجزء الاقوى سيفقد جزأه الآخر .. وان فعل عكس ذلك وجد ما يرادف سلوكه ٠٠ وهكذا تنحصر كينونة الانسان بين موقفين لابد من التوفيق بينهما ٠٠ وفى هذا الطريق وحده يمكننا أن ندمج التاريخ المتكامل العوامل ضمن كينونة الانسان وطبيعته البشرية ٠٠

يقول جورج ج فزدورف فى كتابه «مدخل الى العلوم الانسانية» :

(لقد قدمت الاديان نظرة شاملة للحياة والعدم ، وهكذا أصبح العقل البشرى محجوب الافق ٠٠ فانعدمت بالتالى قيمة التاريخ) ٠٠

من المعلوم أن الدين هو أرقى شعور النفس الانسانية وأنبل ميولها فهى تنـزع نحوه بفطرتها لما تجد فيه من الارتياح العقلى والاستقرار النفسى ولا يمكن لها بأية حال من الأحوال الاستغناء عن الدين ٠٠ ولكن الدين اذا لم تتجاوز وظيفته هذه الطقوس والتعاليم التى يقوم بها الانسان يوميا فى المعبد فان الدين بهذه الطريقة لا يكفل نجاح رسالته وسر بقائه وسينتهى هذا التعبد الرتيب الى قلق وملل وتحلل لفقدان الشعور بلذة الوصال وعذوبة المناجاة وحـرارة التعبد للاله الذى تطالعنا آياته باستمرار ويدعونا من خلالها للتأمل فى قدرة مبدع الاكوان ومدبر أمرها والتفكـر العلمى فى خلـق السمـاوات والارض واختلاف الليل والنهار وغير ذلك من المجالات العلمية ، بل ليجعل الانسان من نفسه أول موضوع علمى ريثما يجيب عن بعض تساؤلاته وحيرته بنفسه مما يدع بساط البحث ومجال العلم مفتوحا أمام البشر لان الدعوة الى العلم من أبرز قواعد الدعوة الالهية لكشف أسرار ومجاهيل هذا الكـون .. وبمـا ان العقل البشرى مجبول على الجدل ورفض المسلمات فان الدين ـ فى نظره ـ من أهم نشاطات الحياة البشرية وأرقى شعـورها فمنطقى جـدا أن تتعـدد صور ومفاهيم الدين من عقل الى عقل ومن مجموعة الى مجموعة ومن جيل الى جيل لانحراف مركبة التاريخ بسبب الجدل العقل الذى أدى بكثير من الامم والاقوام الى أشكال من الانتكاس مما قوض البناء التاريخى السليم الذى نسقت لبناته الديانات السماوية بحركاتها الاصلاحية ٠٠ ولكن باعتبار ان الـديـن السماوى هو الحقيقة التى ما يفتأ العقل البشرى يبحث عن طريقها ، يصعب ـ بالنسبة للعقل البشرى الجدلى ـ تصديق هذه الديانـات الكتـابية الا اذا وفرت الادلة الكافية بحساب الميزان العلمى لان وظيفتها لا تقتصر على التعبد والنسك والتعاليم وحدها بل ان قدرة الدين ونجاحه لا تظهر الا فيما يقدمه من شروح وافية وادلة علمية كافية تجيب ابعد مدى ممكن عن الحيرة الوجودية التى يتكبدها العقل البشرى ٠٠ وعلى هذا كان لا بد للدين من «اطروحة علمية» تفوق الفكر البشرى لاثبات الحقيقة الازلية التى يكمن وراءها سـر التاريـخ ونشـأته وتطـوراته وتتمثـل هـذه « الاطـروحة » فيما يقدمه من الاعجـاز الذى تكاملت فى نتائجه الحقيقة العلمية والتى لا عهد للبشر بها ٠٠ فليس أدل على صدق رسالة الاسلام وصحتها من معجزة القرآن الذى أعلن عدة حقائق منذ أربعة عشر قرنا لم يجلها العلم الحـديث الا مؤخـرا ولم يكتشفها القرن العشرون الا لما استمدوا من علومه وانتهلوا من مورده العذب ٠٠ وفيه مـن

الاسرار والمجاهل ما لم يكشف العلم غطاءها .. وبذلك يحفظ قدرته على الاعجاز الى آخر الدهر ٠٠ فلو انتهت أسراره ووقع بسط كل ما فيها لضعف بذلك أعجازه وليس أدل على حقيقة دعوة الاسلام من هذا الكتاب ٠٠

ولكن اذا أعدنا النظر فى قول فزدورف : «ولقد قدمت الاديان نظرة شاملة للحياة والعدم ، وهكذا أصبح العقل البشرى محجوب الافق فانعدمت بالتالى قيمة التاريخ» ٠٠ فاننا تجاه موقفين : موقف من الدين ٠٠ وموقف من التاريخ ٠٠

ان موقف فزدورف من الدين موقف اعتراضى سلبى كما هو الحال بالنسبة لانصار الماركسية وما وجد عندهم من التناقضات فى شأنه ـ كما سنتبينه فيما يأتى ـ ٠٠ لا شك أن الدين ينزع من عالم المثل التى ينبنى عليها الخيال البشرى لاعتقاده فى القوة الماورائية التى جعلت كل شىء بقدر ٠٠ ولكن للمثالية قانون يختلف من فلسفة الى أخرى وتبقى الفلسفة متداولة للمثالية فكرة مجردة وتصورا شخصيا ينزع نحو المطلق فى حين ان المطلق مطلق رغم فكر العباد ٠٠ وقد اعتبرت مثالية «هيجل» من أبرز ما ظهر من المثاليات فى القرون الاخيرة ويمكن ان نعتبر هيجل منعرجا فى النظر الفلسفى للتاريخ ، فهو يرى ان الواقع والمعقول يتكاملان لا سبيل الى الفصل بينهما ٠٠ فالانسان يشكل باورة للعقل عبر الاحداث ، والتطور البشرى هو فى نفس الوقت تقدم يجتاز فيه الانسان مراحل جدلية توفق أبعد ما يمكن بين الثنائى الواقع والمعقول ـ ومن المعلوم ـ أن المثالية لا تتماشى مع المذهب المادى للتاريخ عند ماركس فاننا نرى انه أخذ عن هيجل التحليل الجدلى للتاريخ بعد ان جرده من كل نزعة مثالية ٠٠ وفى هذا الطريق وحده أقام ماركس ما أسماه بـ «البنية التاريخية» ٠٠ وبما أن المثالية تجمع الانسانية كلها فى صعيد واحد٠٠ فماركس نجده يعتقد عكس ذلك ويرى ان كل اجتماع بشرى بنية تحلل تحليلا علميا ٠٠ وتتكون هذه البنية من قاعدتين : قاعدة سفلى وهى العروة الوثقى والحبل المتين فى المادية التاريخية وتشمل أدوات الانتاج وعلاقات الانتاج ٠٠ وقاعدة عليا تتولد عن القاعدة السفلى وتحتوى على عدة مظاهر انسانية منها : الدين والفلسفة والنظام السياسى والفن والادب ٠٠ وبذلك نجد أن فزدورف يتفق مبدئيا مع ماركس فى اخراج الدين عن اطاره الطبيعى فى ساحة التاريخ واعطائه صبغة ثانوية تخضع مباشرة لعلاقات الانتاج والقوى المنتجة ٠٠ لان محرك التاريخ يكمن فى المفارقات الموضوعية المتركزة فى علاقات الانتاج ٠٠ فهناك من جهة محرك موضوعى للتاريخ ويزيد هذا المحرك فاعلية الوعى البشرى

لهذه المفارقات .. والبنيات المتعددة التى تكون مجموعات بشرية متعددة هى التى تغير تاريخها ولكن بصفة علمية انطلاقا من المفارقات الموضوعية المتقدمة وهكذا يرى ماركس أن كل بنية اجتماعية تحمل فى ذاتها القوى التى تقضى عليها بمختلف اشكال الانتاج .. ولكن فى هذا التقسيم البنيوى خطورة تفطن اليها بعض الفلاسفة كقلدمان وهنرى لوفيفر ولوكاتش وغيرهم من الذين لم يعترضوا على البنية التاريخية ولكنهم أضافوا وجود «بعد تجاوزى» للانسان يتحرر فيه من قيود هذه البنى ليست بالتالى التطورات الطارئة على المجتمع.. وقد أكد لوفيفر فى كتابه «الايديلوجية البنيوية» على خطورة الفكرة البنيوية لان الانسان يصبح مجرد عنصر فى البنية .. وأن هذا التجميد للانسان يفتح المجال لكل الحركات التى تعامل الانسان كأداة لا عنصر تغيير .. وهكذا نلمس فى قولة قزدورف السابقة أنه يلح أيضا على وجود بعد تجاوزى للانسان فى بنيته التاريخية بعيدا عن الافتراضات الدينية الثانوية عله يحقق أمله المنشود «التحكم فى ذاته» وبذلك يصنع تاريخه بنفسه ويفهم الحياة والعدم بمفهومه الخاص من خلال تأثيراته العلمية على مستوى التاريخ ..

لقد رأى هيجل فى نظام نابليون مثلا مرحلة هامة من التقدم فى أفق المعقول .. باعتبار أن هيجل يرى ان الانسان يشكل بلورة للعقل عبر الاحداث والتطور البشرى فى الآن الواحد تقدم يجتاز فيه الانسان عدة مراحل جدلية تنظم أبعد ما يمكن علاقة الواقع بالمعقول لالتقائهما فى صعيد واحد .. ويتمثل نظام نابليون فى الاصلاحات التى أدخلها على اوروبا فى أول القرن التاسع عشر وأبرز اصلاحاته مصالحة الكنيسة الكاثوليكية بعد أن ساءت العلاقات بين الكنيسة والحكومة فى عهد الثورة وأبعد رجال الدين ووقعت مناهضة للمسيحية الا ان نابليون ادرك انه لا يمكن اخضاع الكنيسة لا بالسيف ولا بالفكر ولا بالمنطق بل يجب التعايش معها بسلام .. الا ان موقفه الدينى لم يكن واضحا فقد قال : «كنت مسلما بين الاتراك وساصبح الآن كاثوليكيا» .. وبالرغم من اخضاعه المسيحية لظروفه السياسية فقد أثارت مصالحته غضب وسخرية أوساط الملحدين من رؤساء الجيش ورجال الفكر والسياسة واعتبروا ذلك تنازلا عن قيم ومكاسب حضارية ورجوعا الى القرون الوسطى المظلمة اذ سيتمكن رجال الدين من السيطرة مرة أخرى على العقل الانسانى .. ولكن نابليون أدرك أن الشعب الفرنسى لم تؤثر فيه المذاهب الجديدة ولم يحد عن كاثوليكيته .. فاقام نظاما كنسيا غير الذى كان وأخضع كبار رجال الدين لسلطة الحكومة ودقت الاجراس من جديد تدعو المؤمنين للصلاة .. وهكذا نرى أن الدين فى نظر نابليون مجرد فكرة فى النظام السياسى وليس مبدأ

في الشعور الانساني النبيل..فهو يهادن الواقع الكاثوليكي للتحصل على سند في الاقطار الاوروبية الكاثوليكية في مخططه التوسعي بعد صلح «أميان» ٠٠ وذلك ما يشكل « البعد التجاوزي » في الايديلوجية البنيوية الذي ينزع نحو الامل الوحيد «التحكم في الذات» بتوحيد الواقع والمعقول ولو أدى ذلك الى تجريد القيم العليا من معنوياتها بما في ذلك الدين والاخلاق في نظام المجتمع المادي لاقامة بنية تاريخية جديدة ٠٠ وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار نابليون بونابرت من رجال الفكر والسياسة تبعا للحركة الفكرية في القرن الثامن عشر وقد تتابعت سلسلة الثورة الفكرية وفي هذه الفترة ولد كارل هنرغ ماركس (1818 ــ 1883) وولد ارنيست هيجل (1834 ــ 1919) وولدت حركة علمية جديدة تألفت من عدد كبير من العلماء تعاونوا على بناء صرح المادية بمختلف مقوماتها .. ولم يكن للدين من حظ فيها سوى العداء الناتج غالبا عن فترات الاضطهاد الكنسي في عهود الاقطاع والرأسمالية والنظم البورجوازية.. والواضح أمامنا أن ترافق الجهود المادية وتضافرها كان على حساب الدين وحده ٠٠

ولنعد الآن ونسأل : ما الدين ؟ لماذا يأخذ تفكير الناس ؟ وما هي علاقته بالتاريخ ؟

لماذا يقول ماركس : « بالنسبة للدين فان السؤال هو : لماذا يبدو تاريخ الشرق العربي وكأنه تاريخ الدين ؟»!! ٠

لا شك أن أهم مراحل التاريخ البشري تاريخ الاديان التي سجلت أعظم فترات التحولات الاجتماعية التي طرأت على العالم كله ٠٠ وأن الدين أهم ضرورات الانسانية والمؤسسة الاجتماعية التي انطلقت أساسا من الفطرة البشرية المنغرسة فيها غريزة التدين والتعبد الى حد لا يمكن معه الاستغناء عن الدين ٠٠ فبلوتارك المؤرخ الروماني يقول :

«من الممكن أن تجد مدنا بلا أسوار وبلا ملوك وبلا ثروة وبلا آداب وبلا مسارح ٠ ولكن لم ير انسان قط مدينة بلا دين أو لا تمارس العبادة ٠٠ فالدين طابع الانسان» ٠٠

ولو أننا تتبعنا مختلف الآراء والاحكام والاقوال لدى المؤرخين والعلماء والفلاسفة لوجدنا أغلبهم متفقا على ضرورة الدين في الحياة الانسانية وقوته لا تضاهيها قوة في الايديولوجيات الحديثة ٠

لكن الدين على مستوى المادية التاريخية هو بناء فوقي في الصرح الماركسي قاعدته وأصله الاقتصاد وقوى الانتاج وهو يتفرع عنها كما يتفرع أي ميدان آخر من الميادين الحياتية كالفنون والمعرفة والاجتماع والسياسة ·· وقد كانت ولادة الدين ـ في نظر الماركسية نتيجة شعور الانسان البدائي القديم بالضعف ازاء القوى الطبيعية القاسية حتى يمكنه كشف بعض اسرار ومجاهيل هذا الكون وضبط بعض القوانين التي يجهلها ·· وانطلقت الماركسية من هذا المفهوم لايجاد العلاقة التي لابد من وجودها لتفسير التاريخ تفسيرا ماديا تحت ضوء الاقتصاد ·· وهي علاقة الانسان القديم بقوى الانتاج والعلاقات الانتاجية ونفي مقومات الدين الاولى حقيقتها لاثبات الاولى المادية التاريخية وهذه المقومات هي : النبوة ، الوحي والاختلاق ـ وهو أن تصبغ على الفكرة الدينية صبغة مادية تؤهلها لبقاء ـ وقد كانت سيطرة الحكومة على الوضع الكنيسي الديني غنما حضاريا في نظر رواد الحركة الفكرية في عهد الثورة ·· وعلى هذا الاساس لم يكتف ماركس بالنظرية السابقة بل اختلق الادلة لاثبات مذهبه المادي للتاريخ وسنتبين فيما بعد أنه لا يبالي في انتهاج أي طريق لربط الوقائع والحادثات بأسبابها التاريخية الاقتصادية ·· والايمان بالحقيقة الموضوعية لاحداث التاريخ والاعتقاد بأنها تسير وفقا لمبدإ العلية ·· وحدد الخطوط العامة التي سار فيها الاقتصاد تاريخيا فحاول على اثر ذلك تحديد الخط الذي يجب أن تسير عليه في هذه المرحلة بالذات طبقا لمقتضيات ظروفه المادية ·· وهكذا التجأ الى نظرية «العامل الواحد» وأقام عليها بنيانه المادي تحت عنوان الاقتصاد ..

ـ يتبع ـ

فوزي هلال

ننشر في الأعداد القادمة

الرحلة الاندلسية للورداني	**علي العريبي**
فقهاء متكلمون وأصوليون من الاندلس ..	**يوسف الخناشي**
رسالة المكتبة عبر الاجيال	**مبارك العمراني**
الخليل ابن أحمد ومعجمه « العين »	**يسرى عبد الغني**
اللغة بين معرفة الواقع وواقع المعرفة ..	**د. نور الدين كريديس**

أين يكون .. الظل ؟

شعر: عبد الرؤوف بوفتح

أخذ الليلُ نصيبه من وجع القلبِ ،
وغابْ ..
مشتعلا أبدا ،
(مُحْتَفِلا بعماهْ) .
.. أخذتْ أحلامي مأربها مني ،
وانطفأتْ ..
(أرَقي شَجَرٌ .. وثمارْ)
ياامرأة : تعرفُ كل أقاليمي .
وحذافِير الوجه ،،
بتفاصيل شذاي ،،
تضيع ،،
يا امرأة : وسعتْ أسئلتي .. والسرْ ،
فاشتعلتْ أحطابُ الجسدِ .
ودَخلْنا مملكةَ اللهبِ ..
حِينَ دَخَلْنَاهَا ،
كانَ البَحْرُ يَسَاري ،
وملائكةُ الليل تجوبُ أقاصي الجسدِ
حطبٌ جسدي ،
جَسَدِي لهبٌ ،
ودَمِي زَبَدٌ ..
مُلتحفٌ بالموج .. وبِي .

. . . .

في عينيك : طيورٌ أنهكها الشدوُ ،
فصول أخرى .. أدركها البردُ ..
(أين يكون الظلُّ) . ؟
في عينيك الآن : تموتُ جميع
الأعشابْ
يتداعى عرشي ..

أعلام «قمّوده» الاسلامية
بقلم: أبي القاسم محمد كرو

– 3 – (*)

أبـو جعفـر القمـودى :

نصل الآن بكم ومعكم الى رجل لم يكن عالما ولا فقيها ولا قاضيا أو أديبا ، بل رجل من عامة الناس ، ومن اضعفهم مالا وعلما ومنزلة اجتماعية، ومع ذلك بلغ فى عصره والعصور الموالية أعلى درجات الاحترام والتقدير والاجلال ، وبلغت شهرته المشرق والمغرب ، وهابه العلماء والامراء وتقرب اليه الاعيان والفقهاء واصحاب الحاجات طلبا لرضاه وطمعا فى دعواته .

هذا الرجل هو أبو جعفر احمد القمودى ، ولد بقموده (47) حوالى سنة 845/230 وتوفى بسوسة سنة 324 فى شهر ربيع الثانى الموافق شهر فيفرى سنة 936 أى انه عاش 94 عاما .

بدأ حياته بسيطا ، فنال بعض التعليم ، ثم اشتغل فرانا لحمام عمومى .. وكان كثير التأمل فيمن حوله .. مسالما لجميع الناس . وذات يوم تأمل لهب النار المستعر أمامه **فتذكر لهيب جهنم فاحدث ذلك فى داخله صدمة نفسية** هائلة ويقظة روحية عارمة ، **جعلتاه ينصرف عن الحياة بكل ما فيها وينقطع للعبادة والزهد والمرابطة فى حصون السواحل مع المجاهدين المرابطين .**

وكانت له زوجة رزق منها ولدان توفيا قبل البلوغ ، **وعليه نحوها صداق مؤجل (سبعون دينارا) فطلقها واعطاها سبعة دنانير هى كل ما كان يملك**

(*) انظر « الفكر » العدد : 1 و 2 – السنة : 29 – 1983 .
(47) انفرد صاحب الورقات بذكر مولده فى قموده ، ولم يذكر – كعادته – مصدرا لذلك : الورقات ، ج 2 ، ص 145 .

من حطام الدنيا . وكانت هي زوجة خيرة فاسقطت عنه باقي صداقها وتزوجت بغيره وبقي كل منهما يذكر صاحبه بالخير ويدعو له (48) .

وبعد طوافه بحصون السواحل ، استقر بقصر الطوب في سوسة حيث بقي معظم حياته ، ثم انتقل الى دار زميل وسمي له يدعى أبا جعفر الاربسي ، خارج الرباط ، فبقي معه الى ان مات الاربسي أواخر سنة 934/323 ومات القمودى بعده بستة أشهر فدفن بجوار صاحبه على ساحل سوسة حيث حمل المكان اسم الرجلين الى اليوم ، فيقال « شط بو جعفر » (49) .

ونظرا لكثرة التفاصيل المتعلقة بحياة أبى جعفر القمودى ولاشتهاره بالصلاح والزهد وانقطاعه التام للعبادة ، فقد أحيط بهالة من الاساطير ونسبت اليه البركات والمكاشفات ، وألف بعضهم عن مناقبه (50) .

كان القمودى ميالا الى العزلة بينما كان صاحبه الاربسي يحب زيارة الناس له ومحادثتهم فسأل القمودى يوما صاحبه الاربسي عن السبب الذى يحلمه على قبول زيارة الناس له وكثرة حديثه معهم ، فأجابه الاربسي بانه يتأنس بهم . فقال القمودى : لو ذقت حلاوة الانس بالخالق ما احتجت الى مؤانسة المخلوق » .

كان القمودى يقول : « ما أجد حس اقدام الناس اذا صعدوا الى من الدرج الا كضرب السياط في اكتافي » . وقد عود نفسه وروضها على عدم سماع ما حوله ، فكان ينصرف الى العبادة اياما وشهورا لا يرى احدا ولا يحادث احدا . وكان زاهدا في كل شيء ، لا يأكل السمك واللحوم والفواكه ويعيش بكد يمينه ، يضفر الحلفاء ، فلما اصيب بمرض في يده ورجله عجز عن الكسب ، فعاش ــ بعد تدخل جماعة المرابطين ــ مع الاربسي .. لا يملك سوى ركوة وجلد صوف ..

---

(48) مناقبه كما وردت في رياض النفوس ، ج 2 خط ، وهو اهم مصدر عنه ، وعليه اعتمد صاحب الورقات والمرحوم البهلي النيال ، وكذلك كاتب هذا البحث .

(49) ذكر المالكي في الرياض ، ج 2 (خط) ، ان وفاة القمودى كانت سنة 324 هـ وانها كانت بعد وفاة الاربسي بستة شهور .

(50) أورد المالكي في الرياض صفحات كثيرة ومعلومات مفصلة عن حياة القمودى وصاحبه الاربسي مما يكون كتيبا عن مناقبهما وهو ما نعتزم نشره مستقلا .

ومع ذلك هابه عبد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية ، فحين استولى جيشه على حصون السواحل قرب المهدية ، كان بينها حصن يدعى قصر زياد قرب جبنيانة يرابط فيه المرابطون ، وبينهم القمودى ، فوقع تحويل الرباط الى ثكنة للجيش والمعدات الحربية ، فاخرجوا منه جميع **المرابطين الا القمودى** لم يستطع احد ان يعلمه او يرغمه على الخروج وفى ذات يوم خرج القمودى من غرفته لقضاء حاجة فوجد الحصن خاليا من المرابطين العباد ، فسأل عنهم فقيل اخرجوا . فقال : وما يقعدنى هنا ولست خيرا من باقى المسلمين . وانتقل الى قصر الطوب بسوسة .

بلغ فى العبادة حد الاندماج .. والانفصال عن العالم الخارجي ، فكان فى عبادته او صلاته لا يسمع اصوات من حوله مهما علت وارتفع ضجيجها ، وكان ينام جالسا .

اهديت اليه مرة ثلاثة احمال من التمر ففرقها جميعا على الفقراء والمرابطين ، واحتفظ بخمس تمرات . وكان صائم الدهر ، وعند المغرب **انشغل بالصلاة ولم** يأكل التمرات (51) .

المجدولى الشاعر :

ننتقل بكم الآن الى اجواء اخرى ونماذج فكرية وانسانية مغايرة تماما لما كنا معه وتعرفنا عليه مع أهل العلم والفقه والزهد .. فنقف قليلا مع بعض شعراء قموده فى القرنين الخامس والسادس الهجريين .

وفى طليعة هؤلاء شاعر عاصر ابن رشيق وصاحبه وارخ له وحفظ لنا بعض شعره ، **ولولا ابن رشيق ومن نقل عنه كالعمرى والتيفاشى وياقوت الحموى لما** علمنا بهذا الشاعر ولا سمعنا به فضلا عن ضياع اشعاره واخباره . يقول ابن رشيق (52) :

« أبو بكر عتيق بن عبد العزيز المذحجى من قموده . نشأ بقرية بها تسمى مجدولة » ولذلك عرف بالمجدولي .

---

(51) جميع اخباره ومواقفه مقتبسة من رياض النفوس ، ج 2 خط ، حيث خصه المؤلف باهتمام كبير وذكر تفاصيل كثيرة عنه .

(52) (الانموذج) كتاب مفقود ، وهذا النقل اورده العمرى فى كتاب « مسالك الابصار ... » ، الجزء II ، قسم شعراء المغرب . (خط) ومعجم البلدان مادة « مجدول » .

« كان شاعرا شريرا ، منابشا ، معجبا بما يصنعه ، لا يرى احدا مع نفسه . وكان سريع البديهة ، مدلا على الكلام ، لا يطلب الا الوزن ، متسامحا لنفسه فى العربية اذا اعوزته لفظة صنعها على ما يشاء ، وروى بيتا شاهدا عليها ... فان طولب به احال على كتاب لم يسمع بذكره قط » .

هذا ما قاله عنه ابن رشيق ، ورغم نقده له والتشنيع عليه بما كان يلفق من شواهد اللغة وألفاظها ، فان الرجل كان – كما يبدو – من أهل الابداع والاختراع ، وليس من جماعة الاستماع والاتباع . فهو يبتكر المعانى ، ويضع لها – عند الحاجة – الالفاظ المناسبة ، وهذا هو التوليد الصحيح السليم الذى يقود الى التجديد والنهضة .

ولو لم تكن للمجدولى مكانة أدبية حقيقية ، لما اتعب بن رشيق نفسه ، وعرف به واختاره شاعرا فى مستوى شعراء افريقية الذين عرف بهم فى كتابه المفقود « انموذج الزمان فى شعراء القيروان » واختار طائفة من اشعاره ، وصلنا منها النزر القليل ، نسمعكم منه قوله :

ألم هدوءا حين لاعين كاشح يخاف ولا الخلخال يغرى ولا السمط
فطوف حتى صاح بالليل صائح من الفجر ، واستولى على فرعه الوخط
فلم ير مثلى فى الهوى ذا حفيظة ولم أر طيفا طارقا مثله قط

ويفيدنا ابن رشيق بأن أبا بكر المجدولى كان من شعراء البلاط الصنهاجى وانه مدح المعز بن باديس . وانه مات سنة 1018/409 وعمره أربعون سنة .

وهكذا قطف الموت هذه الشاعرية قبل ان تغدق عطاءها الشعرى فى ذلك العصر المزدحم فى دولة المعز بعشرات الشعراء . وحسبكم انه كان واحدا من مائة وثلاثين شاعرا اختارهم ابن رشيق لكتابه عن شعراء القيروان فى عصره . فما هو عدد الذين اهمل ذكرهم يا ترى ؟

أبو حفص القمودى :

وهذا شاعر آخر من بلاد قموده ، لا نعرف عنه ايضا الا القليل ولكنه قليل يدل على الكثير .

ويبدو أنه من مواليد القيروان ، وان أباه من الوافدين عليها من قموده وقد يكون أبوه أحد رجال العلم أو الادب ، ولكن أخباره لم تصل الينا ،

ولولا سطور قليلة كتبها صاحب المدارك عن ابنه أبي حفص عمر ، لما علمنا شيئا عنه أيضا .

قال القاضي عياض :

« **أبو حفص عمر القمودي ، قيرواني نزل صفاقس .. وكان فقيها ،** أديبا ، مفتيا ، من حفاظ المدونة والقائمين عليها ، ومن حفاظ الشعر . أخذ **عن أبي بكر وأبي عمران (الفاسي) ، وصحب (أبا القاسم) السيوري »** .

ذكر بعض أصحابه ، قال :

لما ودعني الفقيه أبو حفص أنشدني :

هيجوا للبين برقا فلمع وأثاروا دمع عيني فاندفع
ودعوا قلبي فلما جاءهم أوقفوه بين يأس وطمع (53)

وقد نقل هذه الترجمة حرفيا صاحب المعالم (54) ومؤلف عنوان **الاريب** (55) **دون الاشارة الى اصلها . واعتبره ح. ح. عبد الوهاب من اعلام القرن الخامس** (56) **ولعله استنتج ذلك من شيوخه ومن ترتيبه في المعالم والمدارك .**

وأبو حفص القمودي نموذج آخر وحجة أخرى على مدى اهمال **المؤرخين لكثير** من الاعلام البارزين ممن كان ينبغي تخصيص الصفحات لحياتهم والترجمة لهم بتفصيل .

— يتبع —

أبو القاسم محمد كرو

---

(53) المدرك ، م 2 ، ص 798 .
(54) ج 3 ، ص 249 .
(55) ج 1 ، ص 40 .
(56) **مجلة الجامعة** : م 1 ، ع 8 ، (1938/2) ، ص 232 ، وانظر ترجمة شيخه أبي عمران الفاسي ، المتوفى سنة 430 هـ ، في شجرة النور ، ج 1 ، ص 106 .

بطاقات حبّ

شعر : الحبيب بن فضيله

(1) بطاقة الى امرأة مجنونة

لحبك عطر يفوحْ
.. ومنْكِ أيَا مُوغِلَهْ
في امْتِشَاق السّيُوف
آه .. لا .. !
كيفَ لا تبصرينْ ؟
دمي النازفَ الآن فوق الحروفْ
كيفَ لا تبصرينْ ؟
وجعي المرّ
.... كيفَ ؟
.... إذَنْ
أنتِ مجنونةٌ
رغمَ كل الظروفْ

(2) بطاقة حب الى امرأة نصف مختبلة

أحبكِ جدا
وَهَا قد غرستكِ ليمونة في عيوني
فلا تقتليني كما قتلوني
أنا أشربُ الحزنَ منكِ
أنا أشربُ الحبّ منكِ
أنا أشربُ الوجدَ منكِ
أنا الشجرهْ
وأنتِ غصوني
أحبكِ جدا
وها قد غرستك فواحة في عيوني

(3) بطاقة حب للنجوم المضيئه

أنتِ لي
يا نجوم الظلام الذي سيفوتْ
أنتِ لي باقة من ورودْ
والذي بيننا غابة من وعودْ
أنتِ لي
مسرحٌ طافح بالهوى قد ثملْ
والذي بيننا شعلة من أملْ
يا نجوم الظلام الذي سيفوتْ
يا ورودَ الصباح الذي لن يموتْ
أنت لي ...

النصّ الغائب في شعر أحمد شوقي
القراء والوعي

بقلم: محمد بنيس
(المغرب)

ـ 2 ـ (*)

حاولنا سابقا عزل العناصر أو المكونات العامة المشتركة بين قصيدة شوقي وبين قصيدة أبي تمام وشعر النصف الاول من القرن الثالث عامة . ولنا الآن أن ننصت للفروقات ، وخاصة تلك الموجودة بين قصيدة شوقي وقصيدة أبي تمام .

ا ـ البنيـة السطحيـة :

ـ يختلف عدد الابيات من قصيدة الى أخرى ، فهو في قصيدة شوقي ثمانية وثمانون بيتا ، وفي قصيدة أبي سمام واحد وسبعون فقط .

ـ فرق سبعة عشر بيتا الزم شوقي باضافة سبع عشرة قافيـة ، كنتيجـة أولية للفرق بين عدد الابيات وفي الوقت نفسه لم يستعمل أكثر من 50 ٪ من قوافي قصيدة أبي تمام ، وهي :

الكتب ـ الريب ـ الشهب ـ كذب ـ منقلب ـ الصلب ـ الخطب ـ القشب ـ الحلب ـ صبب ـ وأب ـ كرب ـ النوب ـ الحقب ـ الرحب ـ سرب ـ مختصب ـ الخشب ـ الترب ـ عجب ـ الرعب ـ لجب ـ يصب ـ كشب ـ عشب ـ تجب ـ الذهب ـ صخب ـ الهرب ـ الغضب ـ النسب ـ العرب ـ الحجب ـ الحسب .

(*) تابع لما نشر بـ « الفكر » ع : 2 ـ س : 29 ـ نوفمبر 1983 .

وهى فى قصيدة شوقى على غير ترتيبها فى قصيدة أبى تمام .

ـ تتركب قصيدة أبى تمام من متتالية واحدة ، ككل الشعر فى ذلك العهد ، وقصيدة شوقى من سلسلتين يفصل بينهما توقف لاخذ النفس يجسده بياض. وتقسيم القصيدة الى أكثر من جزء من معطيات الشعر الحديث عامة .

تبدو السلسلة الاولى من قصيدة شوقى وكأنها تستعيد خطوطها العامة فى السلسلة الثانية مما يوحى بأن النص كان من الممكن أن ينتقل الى سلسلة ثالثة (أو أكثر) ، وفى الوقت ذاته كان من الممكن أن يكتفى بسلسلة واحدة . والنفس موضوع هنا فى الشرائط المادية ـ الجسدية للانتاج الشعرى لدى شوقى (26) ، فيما تتجلى قصيدة أبى تمام خاضعة لتبنين صارم يعتمد النمو والتكامل والتجانس .

ـ ولئن حاولت وشيجة الالفة (استشهادا واستعانة) بين معجم القصيدتين أن تبين ، فان أكثر من فرق يكتسح الاذن والعين ، على مستوى محاور المعرفة ، والطبيعة ، والحرب ، والسلم ، والتاريخ ، والجغرافية ، إضافة الى تبدل قانون قيود المعجم ، فهو عند شوقى يخضع للجمل المقولبة فيما هو عند أبى تمام يتأسس انطلاقا من رؤيته للشعر والشعرية ، وهو ما حصره القدماء خطأ ، فى البديع .

(26) شهادة داود بركات الواردة فى كتاب «شوقى ـ شاعر العصر الحديث» ، للدكتور شوقى ضيف وقد جاء فيها : « كانت الحادثة من الحوادث تقع صباحا ، فلا يحل المساء حتى تذاع بين الجمهور بقصيدة شوقى ، لانه كان للحوادث تأثير شديد عليه ، يهز أعصابه ويستثير نفسه ويحفز خياله . وكان اكثر ما ينظم الشعر وهو ماش أو واقف او جالس الى اصحابه يغيب عنهم بذهنه وفكره، فقلما يجلس الى مكتبه للتفكير وعصر الذهن، فاذا جلس الى المكتب فلتدوين ما يكون قد نظمه واستوعبه فى ذاكرته ، فبين سجارة وأخرى يجد فكرته،وبين كلمة وأخرى يجد الظرف الموافق لهيكل الفكرة » ص 58 دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ . وراجع ايضا صفحتى 9 ،5 ، 60 .

ب ـ البنيـة العميقـة :

ـ لا تتناول القصيدتان موضوعا تاريخيا واحدا (وهو نقيض ما حصل فى قراءة كل من شوقى وصلاح عبد الصبور لحادثة دنشواى (27) مثلا) . فقصيدة أبى تمام تنطلق من معركة عمورية وانتصار المعتصم (اختلـف المؤرخـون فى تاريخ معركة عمورية ، هناك من يقول بحدوثها سنة 223 هـ ، وهناك من يقول سنة 224 ، للنسيان قانونه أيضا) (28) ، وقصيدة شوقى من حرب ـ سلم ـ انتصار مصطفى باشا كمال (1923) . هاتان القصيدتان تلتقيان فى الانتصار وتختلفتان فى القائدين العسكريين كما تختلفان فى الزمان والمكان وتتباعدان .

ـ ووتباين القصيدتان أيضا من حيث عناصر هذه البنية وتركيبها. فعناصر قصيدة أبى تمام ، كبنيات جزئية ، تتمحور حول الرؤية التحليلية للفرق بين الكلام والفعل (الكتب والسيف) ، بين الايديلوجيا والواقع (الرواية والنجوم والزخرف والكذب والاحاديث الملفقة من ناحيـة والفتح مـن ناحية ثانيـة) ، عمورية (الاسطورة والانثى) ، والمعركة ، وتلبية نداء المرأة الزبطرية (هل هو نداء الام أم نداء الارض؟) والمدح، والربط والمقارنة بين معركة عمورية وغزوة بـدر .

وعناصر قصيدة شوقى ، أى بنياتها الجزئية ، تعتمـد المـدح (من بين عناصره التشبيه بين خالد الترك وخالد العرب) ، والسلم ، والحرب ، تشبيه معارك مصطفى كمال بغزوة بدر ، والمدح ، ونشوة العالمين الاسلامى والعربى ، وقد وحدهما الاسلام .

بنيات جزئية تأتلف وتختلف عددا ونوعا ، والتركيب هو الاهم هنا ، فهذه العناصر ، كبنيات جزئية ، تختلف فى مواقعها (ساقها) ونسقها مـن نص لآخر ، وهو بنيات تعتمد النمو والتكامل والانسجام فى قصيـدة أبى تـمـام ، وتعتمد تركيبا ينشأ منه التنافر والتراكم فى قصيدة شوقى .

---

(27) الشوقيات ، ج 1 ، ص 204 ، وقصيدة «شنق زهران» لصلاح عبد الصبور ديوان « الناس فى بلادى » دار الاداب ، 1965 ، ص 21 .

(28) د. نجيب محمد البهبيتى ، أبو تمام الطائى ، حياته وحياة شعره ، دار الفكـر .

هذه الفروقات المتعددة فى مستوياتها من حيث عدد الابيات ، ونوعية القوافى وطبيعة محاور المعجم والتركيب اللغوى ، ثم الفروقات الاخرى من حيث المعركة ومكانها ، وزمانها ، وقائداها ، وشرائطها التاريخية والحضارية ، وعناصر البنية العميقة وتركيبها ، كل هذه الفروقات ، وغيرها ، يؤكد على تبدلات لقصيدة أبى تمام وهى تهاجر الى قصيدة أحمد شوقى . ويمكن أن نركز هنا على تبدلات ثلاثة :

ا ــ من التجانس الى التنافر : يمثل البيت الجملة الاولى فى القصيدة وربما كانت الجملة الاولى ، ببنيتها وقوانين هذه البنية ، هى المتحكمة فى تركيب النص ككل ، لا كايقاع فقط ، وهو بديهى ، بل كتركيب ونسق وتحويل. اذا سلمنا بهذه الفرضية فما سنلمسه بوضوح هو امتدادية النص لا تركيبيته ؟ فجميع أبيات قصيدة شوقى تصريف استهلاكى (سيولة) للبيت الاول الذى يغلق النص ويلقى به على عتبة الانفتاح المستحيل . هكذا تتراكم الابيات وتمتد وتسيل حتى يبدو التنافر واضحا ، وهذا ليس غريبا ما دام التركيب الكامل للقصيدة يقوم على « العجب » المثبت فى البيت الاول ، وهو عنوان القصيدة برمتها ، يقودها انفعال « العجب » لا رؤية التحليل والبناء والتركيب، وهكذا أيضا تضطرب القصيدة بين عجب الفتح ، وعزة الصلح ، وبطولة القائد والفرسان ، والارادة الالهية .

وتأتى قصيدة أبى تمام من مكان التحليل والتركيب . منذ البيت الاول نسلك رحلة التحليل والتركيب والتجانس :

السيف أصدق إنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

فى الشطر الاول انتصار للواقع لا الايديلوجيا (السيف والكتب هنا غير مطلقتين ، ولكن نسبيان فى سياق تاريخى محدد) وفى الشطر الثانى تركيب (لا تلاعب مجانى كما يظن بعض مبسطى البلاغة) بين الحد والحد ، بين الجد واللعب ، وهى المعنى المتعدد للكلمة الواحدة والثنائية الضدية المنصهرة عبر وحدة متلاحمة طول القصيدة بكاملها،كتحليل وتركيب.له التأمل لا الانفعال، الاقتصاد لا السيولة وهذا ما سوغ لطه حسين أن يقول « وكنت أرى أن من الظلم أن يقاس هذا الشعر (ويقصد هنا قصيدة شوقى ، وخاصة أبياته فى المقارنة والتشبيه بين معارك مصطفى كمال ويوم بدر ، أى الابيات 62 ــ 63 ــ 64 ــ 65 ــ 66 من قصيدة شوقى) الذى لا يدل على شىء الى بيت كهذا البيت

فيه الشك واليقين معا، وفيه المبالغة والاقتصاد معا، وفيه اللفظ الرصين يدل على المعنى الجيد » (29) . انه انبثاق بهجة التجانس .

ب ــ من الكتابة الى الخطابة والكلام : ان الملاحظة الاولى من التبدلات تلتقى عضويا وبنيويا بطبيعة الممارسة الشعرية .

تتجسد قصيدة شوقى فى سياق العودة الابدية للماضى ، وككل عودة شعرية ، يستضيء العائد . بما يجذبه لهذا المتكلم الشعرى وهو يهاجر الى لساننا ، وعبره الى لسان القارىء . وكانت قصيدة أبى تمام اكتمالا لبحثه الشعرى وقد دخل مرحلة وصف الحرب بعد معركة بابك « ذلك أنه لم يكن قبلها عاشقا لوصف الحرب ، أما بعدها فقد كثر كثرة جعلته من مميزات شعره (30) ، ومن خلل عشق الحرب ينفذ الى عشق جسد اللغة . ان قصيدة أبى تمام ، بهذا المعنى ، ليست وصفا لواقعة تاريخية ، هى عمورية ، أى ليست نقلا للتاريخ أو تاريخيا للاحداث وبالتالى ارتكاز دلائلية (سيميائية) النص على المحور العمودى ، وما هو خارج النص بتعبير ريفاتير (31) ، ولكنها أساسا بحث بعيد لغور فى نظرية الشعر عند أبى تمام ، وقد انحصر تجليها لدى القدماء فى انتهاج البديع ، وما هى بالبديع فقط لان البلاغة لا قدرة لها على محاورة النص .

يمارس أبو تمام الحرب داخل النص كما هى خارجه ، فهذا العنف والتمزيق والهدم فى قصيدة أبى تمام نقل شعرى غير مباشر لواقع موضوعى يتقاطع مع حالاته الجسدية فى علائقها الواعية واللاواعية بجسد اللغة . انه خرق اللغة والذات والمجتمع .

نحن هنا أمام صناعة لغوية ، لها الهتك والنسف ، تغزو اللغة دون أن تقتلها وتمزج التجربة التاريخية بالتجربة الانطلوجية . دلائلية هذا النص تنبثق من تقاطع المحورين الافقى والعمودى ، داخل النص وخارجه ، وما المعركة الا حجة لالتقاء الحواس والاجساد ، لتقاطع الحياة والموت .

وقصيدة شوقى تتغيب المدح والوصف وتاريخ المعركة (من بعيد على عكس أبى تمام) ، وكأن حقيقة الشعر تأتى من خارجه ، ومن استشهاده بنص غائب

---

(29) « حافظ وشوقى » ، ص 41 والتشديد من عندنا .

(30) د. نجيب محمد البهبيتى ، أبو تمام الطائى ، حياته وحياة شعره ، ص 107 .

(31) Michael Riffaterre, la production du texte colpoétique, seuil, 1979, semantique du poème, p. 29

كمصدر للادبية والشعرية فى النص لا من جدلية الداخل الخارج ، تركيبه الداخلى (نسقا وسياقا) ، وخارجه العينى كما نلحظه فى قصيدة أبى تمام ، فتفتقد قصيدة شوقى بعد المعركة داخل النسيج اللغوى للنص ، وغياب هاجس الغزو للنص كعاشقة تغوى ولا تستسلم الا لمفترعها كما يقول أبو تمام (32) .

هذا التبدل الثانى انتقال من الكتابة فى قصيدة أبى تمام الى الخطابة والكلام فى قصيدة شوقى ، وبينها مسافة من الوعى الشعرى لا سبيل الى اخفائه .

ج ـ من الانتاج الى الحنين : إن أبا تمام منتج ومعيد للانتاج ، لا مستهلك ، وهو حالة شوقى . بمعنى آخر أن أبا تمام يلحم الصعود التاريخى والشعرى وشوقى يغشى سقوطهما . يكتب أبو تمام هذا النص الغائب بكل اختصار ، فيحوله ويتحول معه ، جسديا وشعريا (والشعر هنا جسد أيضا) . وهذا التبدل الثالث هو ما يؤطه مفهوم الشعر ودلائليته ، فهو عند الاول معاناة ونسكية واعادة انتاج ، أى كتابة ، وهو عند الثانى الهام وانقياد واستهلاك ، أى خطابة وكلام .

الفروقات والتبدلات تحتمى بدلالاتها . ان قصيدة أبى تمام . كنواة مركزية، هاجرت الى قصيدة شوقى من خلل القراءة واعادة الكتابة ، يتحكم فيها قانون الاجترار الذى يحصر نص أبى تمام ، ومن ثم شعر النصف الاول من القرن الثالث للهجرة ، فى بعض خصائصه وعناصره الشكلية البرانية ، ويتعامل معها معزولة عن نسقها وسياقها. قانون يرى الى النص فى سكونيته وعلاماته العابرة وهو ما يجعل « الحدود القصوى » لوعى شوقى (33) تلتقى بالحدود القصوى للرؤية السلفية الى كل من الماضى والحاضر ، وهى تعتقد ببرانية الخصائص الكتابية لنص أبى تمام ولا تاريخيتها .

وقراءة الاجترار ، حين تعجز عن استيعاب النص الغائب أو محاورته ، أى حين تلغى امكانية نفى جزئى أو كلى له حسب كريسطيفا (34) ، تكتفى بالنص الغائب كاستشهاد ومصداقية أى كاستهلاك ، وهى علاقة العجز والقصور لا علاقة الفعل والتخطى .

---

(32) الاشارة هنا لبيت أبى تمام : « **والشعر فرج** .... »
(33) مصطلح « الحدود القصوى » للوعى من مصطلحات نمو لدمان .

لهذا تكف « المعارضات » عن أن تكون مجرد لقاء صامت ومنسي بين شوقي وأبي تمام ، وتمتد لتصل وتلامس أخطر قضايانا التي مازلنا نسألها في زمننا : ما هو التراث ؟ كيف نقرأه ؟ لماذا نقرأه ؟ ويعتقد السلفيون ، عن خطأ ، أنهم الحافظون للتراث ، الضامنون لنقاء المستقبل ، وهم ، لو يدرون ماحون له ، مطفئون وهجه ، يختزلون ماضي الاسئلة وحاضرها في جواب أحادي له هيئة القش وسلطة الخواء .

وكان شوقي يرى الشعر في الماضي لا في المستقبل ، رغم أنه انفتح على الاداب الاوربية بعد تعلمه الفرنسية ، ولم تكن هذه الرؤية عفوية ، ذاتية ، وإنما هي مشروطة بالحدود القصوى لفئته الاجتماعية . وكما كان لباس شوقي أوربيا وشعره يكتفي باجترار القدماء ، كذلك كان يتقن الفرنسية ووعيه الشعري سلفيا (اللباس الاوربي واللغة الفرنسية ـ أو الانجليزية ـ هي دليل النبالة في مصر آنذاك) .

إن علاقة شوقي الخارجية بالشعر العربي القديم (والشعر عموما) تتساوق مع الرؤية السلفية ، المحدودة بطبيعها وماذا عسانا نقول أكثر مما قال طه حسين عن العلاقة بين القصيدتين ؟ لننصت اذن « ثم أخذنا ننتقل في القصيدتين من بيت الى بيت حتى انتهينا الى أن ذوقنا القديم على تحرجه لا يستطيع ان يسيغ قصيدة شوقي ، بعد ان أبى ذوقنا الحديث أن يسيغها ، وكانت خلاصة رأيك ورأيي أن هذه القصيدة انما هي أشبه بالتمرين المدرسي يذهب به الاطفال مذهب المحاكاة للنماذج الفنية التي تلقى اليهم ، فيوفقون في الصورة ويخطئون الموضوع » (34) .

لكل قراءة متاعها ومتعتها وغايتها ، وهذه المحاولة لقراءة النص الغائب لا تهدف الى التقليل من أهمية شوقي التاريخية ، ولكنها تتجنب اختياره كعلاقة متقدمة مع التراث فيما هو علاقة وهمية بالحاضر ومنقطعة الجذور في المستقبل انه الوعي الشقي، لا ماضي ولا مستقبل له . اذن لماذا نعود اليه؟ نستحضره؟ ان لم يكن من اجل تفكيك هذا الوعي الشقي ؟

بهذه القوانين اقرأ لأخرق المسلمات وأدفع بالسؤال الى محنته .

محمد بنيس
كلية الآداب ـ الرباط

---

(34) « حافظ وشوقي » ، ص 417 والتشديد من عندنا .

عمـــارة شاهقـة

قصة : صالح الدمس

فى الطابق الثالث من عمارة شاهقة بشارع الحرية ، جرس الهاتف يـرن فتمتد يد الممرضة اليه :

ـ آلو ... نعم ... غير ممكن ... الطبيب يشتغل حسب الموعد يوم الاثنين القادم .. لا .. لا .. غير ممكن .. بقيـة أيـام الاسبـوع محجـوزة .. كما تشاء .. اذن صباحا من الثامنة الى العاشرة ... لماذا تسـأل ألـم تـأت من قبل .. سبعة دنانير .

تضع السماعة

أمام باب العمارة الشاهقة بشارع الحرية تقف سيارة أجرة ، يفتح الباب ، تنزلين أنت وتسرعين الى فتـح البـاب الآخـر ، فيظهـر أبـوك العجـوز ، تقولين له :

ـ على مهلك ... هات رجلك ... هات الاخرى

تتجهين نحو السائق ، يرجع اليك الباقى ، تمسكين أباك من يده

ـ ها أننا وصلنا

أبوك لا يرد ، بل يظل يلهث وصدره يصعد ويهبط

ـ « الشدة فى ربى ... بالشوية يا بنيتى »

تشدين على يدىْ أبيك ، وتلجين معه بهو العمارة .

ـ ساعد على نفسك ... وحدة ، وحدة ،

يقول لك أبوك :

ـ دعيني أجلس قليلا على المدرج ، أية قوة تلزمني لاصعد كل هذه الدرجات

ترديـن :

ـ على مهلك يا أبي

يجلس على أول درج ، تجلسين حذوه ، فكرت لو أتى زائر آخر وأراد الصعود كيف ستفعلين ، تنحيت من جانبه ووقفت أمامه ...

ـ أبي أنستطيع بدء الصعود ؟

وضع يده على الجليز ، أرسل زفرة طويلة

ـ هاتي يدك

مددت يدك ، مسكت يده جيدا ، كانت باردة كالجليز ، وضع يده الاخرى على « الدربوز » ، رفع رجله فظهرت ركبته من تحت السروال كمظمة مسلوخة ، بدأ عملية الصعود .

في الطابق الثالث من العمارة الشاهقة ، يرن جرس الهاتف ترفع الممرضة السماعة :

ـ آلو .. نعم .. يوم الثلاثاء .. لا .. لا .. غير ممكن ، باقي أيام الاسبوع .. يوم الاثنين أيضا .. الكشف سبعة دنانير .. كما تشاء .. اسمك ... اذن من الثامنة الى العاشرة صباحا

وضعت السماعة ، بدأت قاعة الانتظار المقسمة الى نصفين لكل جنس نصف ، تكتظ بالزائرين ، والمرضى ، والذين يظنون أنهم مرضى ، وفي النصف المخصص للرجال تعتم الجو من كثرة دخان السجائر .

ساعتها تكونين قد اجتزت مع أبيك ممرا واحدا ، تسمعين لهاثه ، تشعرين أنه يكاد يسقط ، تقولين : أبي إن تعبت نجلس ، قبل أن يجيبك يجلس ، يسقط على أول درجة ، صدره يعلو ويهبط

ـ كم من طابق ما زال ؟

ـ لم يبق الكثير ، طابقان فقط !

تقفين في زاوية الممر ، تتركين فجوة للصاعدين والنازلين من تلك العمارة الشاهقة بشارع الحرية .

فى الطابق الثالث بدأ الرجال يتململون ، وكثر لغو النسوة ، رجل يغادر قاعة الانتظار ويخرج الى بهو المدرج ينظر الى الاسفل لعله يرى سيارة الطبيب وهى قادمة ، امرأة أعياها الجلوس ، وأعياها الوقوف ، نظرت الى الممرضة وأشارت الى ظهر يدها .

ـ التاسعة والربع !

ـ ما زال يبطىء ..؟

تمط الممرضة شفتيها ، وترفع يديها كأنها أمام قاطع طريق

ـ إنه يذهب الى المستشفى قبل أن يأتى الى هنا ... ممكن يصل بعد ساعة أخرى

ويرن الهاتف ، تضع يدها على السماعة ، ترفعها :

ـ آلو ... نعم تفضل .. متى تريد ... غير ممكن ... كيف ؟ لماذا ؟ يوم الخميس محجوز ... لا يا أخى ... الحل يوم السبت ، خذ اجازة ... يا أخى ... ارفع صوتك قليلا ... ما هو اسمك ... اذن بين الثامنة والعاشرة .

تضع السماعة .

يضع أبوك يده على الجليز ، يقول :

ـ يا رب !

يقف :

ـ امسكينى .

تمسكينه وتتوكلان على الله وعلى بقية الصحة التى فى رجلى أبيك ، درجة ، درجتان ، ثلاث ، ويقف أبوك ويتكأ على « الدربوز » .

ـ هؤلاء الاطباء ليسوا أذكياء ، لماذا لا تكون مصحاتهم أرضية .

ثم يجهد نفسه ليواصل الصعود فى مدرج العمارة الشاهقة بشارع الحرية.

فى قاعة الانتظار ، تدور دردشات تافهة بين أناس مرضى ينتظرون الطبيب الذى سوف يأتى ، ينظرون الى ساعاتهم ، يسأل بعضهم البعض عن الوقت ، يعدلون عقاربهم ، يدخنون ، ينفخون ، يتأوهون ، ويسمع صوت

ناقوس الباب ، تدور اعناقهم نحوه ، وتكونين أنت وأبـوك اللذان ينقسان ، تقرئين لافتة صغيرة بالفرنسية : « ادفعوا » .

تدفعين الباب ، تصدمك رائحة العرق والتبغ ، وروائح أخرى ، تقـولين لأبيـك :

ـ ادخـل .

يتكىء عليك ، تجرينه الى ... ليس هنالك مقعد خال ، تنظرين فى وجوه الجالسين ، ينظرون الى أبيك ، يقوم أحدهم ويقـول : « هـاته الى هنـا » تجرينه ، وهو يلهث .

ـ إجلس .

تشاهدك الممرضة ، تخرج رأسها من مكتبها الضيق كحجـرة الهـاتف ، تشير لك برأسها ، تذهبين نحوها .

ـ أعندكما موعد ؟

ـ نعـم .

ـ ما اسمه ؟

تقولين لهـا اسم أبيـك ، تنظر الممرضة فى كنش صغيـر أمامهـا ، تجـد اسمه مسجلا .

ـ دوره العاشر .

ـ العـاشر ؟!

ـ ها أنك ترين ، الناس من الفجر ينتظرون .

ـ والطبيب هل أتى ؟

تنظر الممرضة فى ساعتها :

ـ لن تنتظرا كثيرا ، قرب ميعاده .

ترجون نحو أبيك ، تجدينه يلهث وعيناه نحو القاع .

ـ أبى ... الطبيب سيأتى عن قريب .

تسمعينه يقول :

ــ لا أستطيع الجلوس على هذا الكرسي .

تلتفتين نحو الناس المبحلقين فيكما ، تستعطفهم عيناك ، يديرون وجوههم، تذهبين الى الممرضة .

أبي تعب جدا .. ألا توجد عندكم أريكة طويلة يتمدد فوقها ؟

ــ لا نملك .. لكن قولي للرجال يقومون ، والصقي أربعة أو خمسة كراسي الى بعضها البعض ودعيه يستلقي ويستريح .

يسمعما الرجال ، يقومون ، تتعاونون على صنع أريكة طــويلة ، تقــولين لأبيــك .

ــ أبي تمدد على هذا الكرسي ... الطبيب لن يبطيء .

تلتفتين نحو الرجال ، وعيناك مبللتان ، يقف البعض منهم وتمددون أباك فوق الاريكة المصطنعة ، وتذهبين الى قاعة النساء تنتظــرين الطبيــب الذي سوف يأتي ، تغرقين معهن في حديث ، ورنين الهاتف لا يسكت ، والمواعيد تتلاحق ، وكامل الاسبوع معبأ ، والطبيب سوف يأتي بعد حين ليقبض سبعة في سبعة في سبعة ، لكن رجلا يشير لك ، فتسرعين وتسرع بقية النســوة والممرضة ، فتجدين بقية الرجال ملتفين حول أبيك ، ترفعين يديك ، تطلقين صرخة عالية من الطابق الثالث من عمارة شاهقة بشارع الحرية .

يسود بعدها صمت رهيب لا تقطعه الا خطوات ... يتخللها صوت خافت حزين ليقول : **الآن جاء الطبيب !!**

صالــح الــدمس

نتشر في الأعداد القادمة

حول الموسيقى في تونس وآفاق تطورها

بقلم : الاستاذ **البشير بن سلامه**

علامة استفهام؟

شعر : حسين علي محمد
(القاهرة)

1 — العين الفسفورية

— العين الفسفورية تتعلق فوق حدائق أعناب الليل ،
الجسد البلوريُّ المبتل : مواسم خصب تجذبني نحوك .
والحبل السريّ : الخيل الليليّةُ ..
تفضحُ كلّ صحائفنا النورية
(ماذا يهتف في الليل البدرُ المانحُ للنهر الغاضبْ؟:
قد غبت كثيرا عنّي ،
قد غبت كثيرًا عنك ، وقد وهن الجسمُ ،
اشتعلت رأسي شيبا
(ماذا أفعل ؟ هل أنشد في هذا الصمت الكاسر من عذب الشعر
دموع الشوقِ الأخضر للحب النائي ..
بسمة غزلٍ للمحبوبة حين تميل بأنداء السِّحْر)
— الجرح الفاغر فاه يغذى آمادَ النفس ، تشتعل دمائي شوقا :
(كنتِ تعودين إليّ نباتا نورانيا في الفجر — فمن أقصاكِ عن النهر ؟)
— صمتتْ «مريمُ» وانكسر النهرُ ،
سالت دمعات الحسرة فوق الخدّ ،

سقطت عيني الفسفوريّةُ فوق الأرض ،
تخضّب ماء النيل ، تجيئينَ لِبَابِي .. نسهرُ قدّامَ الدار ،
ونلهو صبحا إذ نرعى البُهْمَ .. لماذا أقصاني عن عتباتك ليل ؟
أبعدني عن هذا الجسد البلّوريّ المبتلّ ،
وهذى أنت تعودين الليلة قمرا في بحر الدّمْ
(معذرة لا أحيا في الوهم ، ولكني أشهر سيفي في وجه العشاق الكذابين،
وأخرج من قيد الأسر) .
- هل لي أن أغسل هذا الجرح الغائر في ماء النهر ؟!
(أنا لم آكل لحم الخوف ، ولم أشرب مرق الاطراق ويشتعل الجوف
نهاراً بالغضب الحارق واللفظ الدفاق ، ويشتعل الماءُ / بحنين للسيف) .
- غابت مريمُ منذ زمان .. قلبي يتحطّم .. « مريم» تنأى عنّي ،
وأنا أذوي شيئا شيئا .. أنت دوائي : والشمس اللاهبة تزمجرْ ،
وتحطم أضلاع القلب ، وقلبي عصفور يفجؤه القيظُ
(وكيف تبخّر وعدك خوفا من والٍ أهدر في الظلماء دمي ؟
يبتعد الموكب عني ، والفرس الأبيض يركلني ، ما أقسى ما أبصر في
الليل المعتم ! من يأخذها مني ؟من يأخذها ؟ من ؟ ..
أقصاني عنك الليل وأبعدني
عن هذا الجسد البلوريّ المبتلّ ، فكيف أعانق صمتي !؟ ،
كيف تجمّد هذا المشهد في العين الفسفوريه !؟
كيف يجف على شفتيّ الحرق ؟

حسين علي محمد
(القاهرة)

لو هدان فارس .. لي الكبرياء

شعر : عبد الرزاق الفرجية

ـ 2 ـ (*)

تلك هي اللغة التي طالما وصفها الواصفون بأنها أغزر الالسنة مادة وأطوعها للمعاني تصويرا قد أفضت اليوم الى حال ، لو رام الكاتب فيها ان يصف حجرة منامه ، لم يكد يجد فيها ما يكفيه هذه المؤونة اليسيرة ، فضلا عما وراء ذلك من وصف قصور الملوك ومنازل المترفين والاغنياء ، وشوارع المدن الغناء ، وما ثم من آنية وأثاث وملبوس ومفروش وغير ذلك من اصناف الماعون وأدوات الزينة ، مما لا يجد لشيء منه اسما في هذه اللغة ، فلا يكون حظ العربي من وصفه الا الحصر ، فيصبح كالابكم يرى الاشياء ويميزها ولا يستطيع ان يعبر عنها الا بالاشارة .

ويا ليت شعري ما يصنع احدنا ، لو دخل المعارض الطبيعية أو الصناعية ، ورأى ما ثمة من المسميات العضوية وغير العضوية ، من انواع الحيوان وضروب النبات وصنوف المعادن ، وعاين ما هناك من الآلات والادوات وسائر اجناس المصنوعات ، وما تتألف منه من القطع والاجزاء بما لها من الهيئات والمنافع المتباينة واراد التعبير عن شيء من هذه المذكورات ؟ ثم ما هو فاعل لو اراد الكلام في ما يحدث كل يوم من المخترعات العلمية والصناعية والمكتشفات الطبيعية والكيميائية والفنون العقلية واليدوية ، وما لكل ذلك من الاوضاع والحدود ، والمصطلحات التي لا تغادر جليلا ولا دقيقا الا تدل عليه بلفظه الخاص ؟ لا ريب ان الكثير من ذلك لا يتحرك له به لسان ، ولا يعهد له في معجمات اللغة الفاظ يعبر بها عنه . ولا يغنيه في هذا الموقف ما عنده من ثمانين اسما للعسل ، ومائتي اسم للطير وخمسمائة للاسد والف للسيف ومثلها للبعير واربعة آلاف للداهية (11) .

(*) انظر « الفكر » العدد : 2 ـ السنة : 29 ـ نوفمبر 1983 .

(11) المشوق ـ المصدر السابق ص 69 .

وللتحلية بالشعر فهذا الشاعر الموهوب «حليم دموس» (I2) يذوب تيها وهياما وحبا فى اللغة العربية وقد شعر بتلك العواصف والاعاصير تهزها هزا وتدك شامخ كيانها وذراها وهو يريدها يمنا وبركة فى كل الربوع مع الملاحظ وأن قصيدة « لغة الاجداد » كان شائعا بين تلاميذ المدارس فى بلاد الوطن العربى وخاصة تونس حيث رددنا ونحن صغار ذاك القصيد فى أكثر من سنة دراسية واكثر من فصل من فصول التعليم شمال الوطن وجنوبه ثباتا على المبدأ وحفاظا على الاصالة والدفاع عن لغة الاسلاف العزيزة يقول :

لا تلمنى فى هواها — أنا لا أهوى سواها
ما لقومى ضيعوها — فدهاها ما دهاها
كلما ناديت : « واها » — هتف الاخوة : « واها »
ما أنا وحدى فداها — كلنا اليوم فداها
فتية الآتى أفيقوا — واسمعوا صوت فتاها
غير الدهر توالت — ومشت نحو ذراها
عصفت عن جانبيها — فتداعى جانباها
صدعت بعض مبان — جددوا اليوم بناها
لغة الاجداد كونى — لحمة نحن سداها
وعلى بغداد فيضى — بركات فى رباها
وعلى الاردن هبى — نسمة طاب شذاها
واسطعى فى الشام نورا — يتلالا فى سماها
وبوادى النيل كونى — صلة شدت عراها
وعلى لبنان ورقا — رنح الارز غناها
وعلى المقدس شمسا — بهر الطرف سناها
وعلى مكة بردا — وسلاما فى حماها

(I2) ولد حليم دموس فى زحلة بلبنان سنة 1888 وقد كان له نشاط ملموس فى الميدان الادبى وعالم الصحافة نشر الكثير من القصائد والمقالات فى لبنان والمهجر . له « ديوان حليم » و « المثالث والمثانى » فى جزئين فى سنة 1932 أصدر جريدة « الاقلام » الاسبوعية وهو أيضا من دعاة تحرير الشعر العربى من تقاليد التشبه بالشعراء الاقدمين .

وهذا عباس محمود العقاد يقارن بين الاسلوبين الافرنجي والعربي راغبا في عدم التعصب الاعمى المقيت من حيث اسناد كل ما هو ثقيل وركيك الى الاسلوب الاول ملاحظا في دقة ما أراد الاشارة اليه بقوله : الاسلوب الافرنجي هو كل أسلوب معيب ، في رأى فئة من النقاد ، يحسبون في هذا العصر أنهم حذقوا ملكة اللغة وورثوا سليقة البلاغة العربية ، وكل أسلوب ركيك مستعصف فهو عند هؤلاء النقاد من الاساليب الافرنجية ، التى طرات على اللغة بعد اختلاط الشرق بالغرب ، ومعالجة الترجمة من لغات الافرنج الى لغة العرب كأن الركاكة شرط أصيل يشترطه الافرنج في كلامهم ، ولا يقرون البلاغة عندهم الا اذا شيبت بشيء منه ! . وليس الامر كذلك ، ولا هو مما يخطر على بال ناقد رشيد ، فان الافرنج يعيبون الركاكة كما نعيبها ، وينتقدون ضعف التاليف كما ننتقده ، ويعنون أشد العناية باجتناب الخطا في النحو والصرف والقواعد الاساسية المتفق عليها . ولكن نقادنا الذين يجهلون اللغات الافرنجية يفوتهم ذلك ، ويختصرون المسافة اذا استعرضوا الاساليب ، فما استحسنوا منها فهو للعرب خاصة ، وما استهجنوا فهو للافرنج عامة ! ويحسبون ان الصحيح القويم من العبارات لا يمكن ان يكون الا عربيا ، وان السقيم المعوج منها لا يمكن ان يكون الا أعجميا ، بطبيعة في اللغات لا تتحول عنها ولا يد فيها للمتكلمين بمفرداتها وتراكيبها ، وهذا هو الخطا الذى نود ان نكتب عنه لنرد العيوب الى أصولها ونوجه بنقد الاساليب الى وجهة أقرب الى الهداية وأقمن بالتوفق للاسباب الصحيحة . ويستطرد العقاد في حديثه عن الفصل بين الجمل مشيرا الى ان الافرنج أقل منا استعمالا لحروف العطف والصلات اللفظية الظاهرة ويرى أيضا ان الفصل بين الجمل خاصة من خواص التفكير قبل ان تكون خاصة من خواص حروف العطف وصلات الالفاظ وفي النهاية يلاحظ ان البلاغة العربية لم تخل من الفصل الكثير في أساليب أفصح الفصحاء وأقدر الكتاب والمنشئين ، بل هذا القرآن الكريم ، تتوالى فيه الآيات أحيانا بلا صلة لفظية بينها ، غير الصلة التى تفهم من سياق الكلام ، وتؤديها علامات الترقيم أحسن أداء (13) . وهذا شاعر النيل حافظ ابراهيم (14) يشكو الزمان للحال الذى آلت اليه العربية وهي المحيط الزاخر العظيم يقول في

(13) المشوق ج - 4 - ص 137 .. 139 .

(14) حافظ ابراهيم : (1871 - 1932) من أشهر شعراء مصر المعاصرين وقد لقب بشاعر النيل - التحق بالجيش كضابط ثم استقال وعكف على المطالعة والتأليف من أشهر آثار قلمه ديوانه في ثلاثة أجزاء و « ليالي سطيح » ..

مطلع قصيد بعنوان لسان حال اللغة العربية :

أنا البحر فى احشائه الدر كامن فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتى
أرى لرجال الغرب عزا ومنعة وكم عز اقوام بعز لغات
أتوا اهلها بالمعجزات تفننا فياليتكم تأتون بالكلمات

ويقول فى ثنايا القصيد :

أيهجرنى قومى عفا الله عنهم الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى لعاب الافاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الالوان مختلفات

وفى الاخير هذا النداء :

الى معشر الكتاب والجمع حافل بسطت رجائى بعد بسط شكاتى
فاما حياة تبعث الميت فى البلى وتنبت فى تلك الرموس رفاتى
واما ممات لا قيامة بعده ممات لعمرى ، لم يقس بممات

أما الاديب سليمان البستانى (15) فيرى بان المولدين اذا ما قصروا عن الجاهليين بالبداهة الفكرية ، فقد فاقوهم بسمو التصور والرقة وصعدوا فوقهم درجات فى سلم البلاغة بفضل القرآن . ولو لم تتغير مناحى شعرهم لابدعوا فى جميع الاساليب الشعرية ولكنهم لم يستثنوا الاقتباس والا فلو استرشدوا ببعض سور القرآن كسورة يوسف وسورة مريم وسورة الانبياء مما يعد نبراسا نيرا للملاحم ، لفاقوا الجاهليين بالشعر القصصى كما فاقوهم بالشعر الموسيقى ويستطرد البستانى بقوله :

وان من أحسن ملاحم المولدين ملحمة نثرية جمع فيها صاحبها شتيت المعانى واوغل فى التصور حتى سبق « دانتى » الشاعر الايطالى وملتن الانجليزى الى بعض تخيلاتهما ألا وهى « رسالة الغفران » لابى العلاء المعرى ، ولكن استغلاق عبارتها وفقدان الطلاوة الشعرية منها ينحطان بها عن درجة أمثالها من ملاحم الاعاجم .. ! هـ .

— يتبع —

محمد أنور بوسنينة

---

(15) سليمان البستانى (1856 — 1925) من ادباء لبنان اشتهر بترجمته للالياذة حيث طبعها سنة 1904 اقام بمصر منذ سنة 1887 وبعد سنوات واثر اعلان الدستور العثمانى سمى نائبا عن ولاية بيروت فى الاستانة ثم تولى وزارة الزراعة والتجارة وفى السنة الاخيرة من حياته رحل الى امريكا للتداوى فكف بصره ثم توفى فى التاريخ المذكور من مؤلفاته : « عبرة وذكرى » فى السياسة والاجتماع — وكتاب فى « تاريخ العرب » لم يطبع .

في الدِّفاع عَن اللغَة العَربيّة

بقلم: محمد أنور بوسنينه

لوهران قلبٌ تلفتَ في ملكوت
اشتهائي .
وحط على غصن صفصافة فارعهْ
مدينة حبّ كبير ..
مدينة ذاكرةٍ ..
أستقي منْ تفاصيلها خطوتي ،
وحضوري
وعند الأصيل تمدّ جدائلها في دمي
والغصون تميل بأطيارها الشادياتِ
على راحتي ،
والسماوات تكتبها أغنيات
على وتر الكبرياءْ
فأخطو ..
وتتبعني قمم تستريحُ على ..
أعين العابرين .
وبين التفاتة قلبي وعيني
يجمعني السنديانْ
ويمنحني جرعة منْ ودادٍ قديمْ .

★ ★ ★

لوهران تستبدلُ الشمس جلبابها
فتلوحُ عروسا تزاوج بين الندى
والصدور الدفيئه
ومرت وفي طرفها موعدٌ للهوى
والحنينْ
سألت عن الإسم . قالت ...
– وبين أصابعها وشوش الشوق – :
« وهرانُ » .
قلتُ : إذن فاستبيحي دمي
واستريحي على شفتي جارة للقصيد .
وكوني مناخا جميلا
لعصفورة سوف تأتي
وفي رجلها نجمة وهلالْ .

لوهران قلب تلفت ..
للقلب وهران زادُ الرحيلْ .
وكان اللقاءْ ..
على سرة البحر كان اللقاءُ :
نواهد سافر في شوقهن المدى
والشواطىءُ تمتد تحت القدود الرشيقه
وبين الهوى والردى
فارس يمتطي صهوة الريح
يفتح للشمس والفجر نافذة
في الجبال المحاطة بالأمل العربي
وكان يحبّ السلام
وفي صلبه يسجعُ الثأرْ
تخفق في غمده السيف
ما كان يرجو التوضّؤَ بالدم لكن ..
لرأسه سيف وسيفه للورد والسروة الآمنهْ .
يجيء «الأمير»(*) نبيا يؤجل وقت البُكاءِ
يعلق في شفة الأرض قُبلةَ ودّ
ويحنو على وردة تطلق النار
صوب وجوه مُدجنة الكبرياءْ .

* * *

لوهران فارسْ ..
يفض ختوم التُّخوم
ويومض للمغرب العربي
تجيء النوارس تترى
تعانق أهزوجة البحر
والبحر عادهُ عيدٌ فأحْنَتْ عليه الرواسي
ألا فاشهدي يا صقور السماوات
أني لوهران بعض الرفاقِ
وللعاشقين فراتا قُحاحا [!]
وللغاصبين القُحافا [!]

* * *

لوهران فارس ..
يَجرّ مدارهُ
تتبعهُ الشمس والنجمُ مؤتلقٌ .
لأمير تفيأ ظلّ الجزائرْ
فكان سليلَ الينابيع والياسمينْ

* * *

(*) إشارة الى الأمير عبد القادر الجزائري .

لوهران فارسٌ ..
يعالج بارودة هدها القذفُ
قبل بلوغ المدى
وعلى شفتيه استقامَ القريض
هو الرجل الطلقُ
والرجلُ الضربُ
والرجل المغربُ العربي .
أيا فارس الشعر..والغاب..والرابيه
غدوتُ إليك وفي شفتيَّ تعشش
مملكةُ الأسئلهْ
وجسم تجربُ فيه الأساطيل أحزانها
هلْ أنامُ ؟
وأرض وقد غادرتها الطيور تنامُ
وتصحو على حدقات البوارج
والطائراتْ
فكيفَ أنامُ ؟
وهل يا أمير الفصول أنامُ ؟
وقد شعّ في خلدي المغرب العربي .

عبد الرزاق الفريخه

من قصائد العدد القادم

الأخوة الأعداء	محمد بن صابر
فى مواعيدها تأتى الطيور	محمد الامين الشريف
فى مولد التوحد	عبد الله البلطى
للريح مواجعها .. وللقلب البوح ..	البشير المشرقى
موت أم	مصطفى النجار
تداعيات عبد الله فى حضرة القصيدة	عبد الله مالك القاسمى
الضوء المسيح بالغبار	الصادق شرف

الاعلام الثقافي والتنمية الريفية

بقلم: البشير السالمي

ـ 2 ـ (*)

II ـ **وسائل التطوير**

ان مجموعة هذه التصورات التى يمكن ان تساهم بشكل ما فى دعم الاعلام الثقافى وتعمل على المزيد من تطويره نحتاج الى عدة وسائل عملية حتى يتسنى ادخالها حيز التنفيذ ومنها :

أ ـ على الصعيد الوطنى :

ـ تركيز الهيكل الاساسى

ـ توفير التجهيزات

ـ انتداب الاطار

ـ بعث صحافة ريفية

ـ بعث اذاعات جهوية جديدة

ـ احداث التشريعات .

ب ـ على الصعيد القومى :

ـ تبادل البرامج الثقافية بين بلدان المغرب العربى

ـ التنسيق مع اتحادى اذاعات ووكالات الانباء للدول العربية

ـ التنسيق مع مراكز البحوث وبنوك المعلومات العربية .

أما بخصوص النقطة الاولى المتعلقة بالهيكل الاساسى ، فانه من الضرورى تعميم تركيز خلايا الاعلام الثقافى الى جانب مكاتب الاعلام فى الوزارات وفى المؤسسات الخاصة والحكومية التى سبق ذكرها ، وينبغى ان يتم تركيز هذه

(*) انظر « الفكر » العدد : 2 ـ السنة : 29 ـ نوفمبر 1983 .

الخلايا بصفة قانونية ، ووضع المسؤولين عن الاعلام الثقافي بهـا في أعـلى درجة من درجات السلم الاداري ، حتى لا يكونوا في عملهـم الثقافي الاعلامي تحت رحمة التسلسل الاداري الذي قد يحول ـ بسبـب ما يتعرض اليه مـن بيروقراطية ـ دون ما تقتضيه رسالة الاعلام من سرعة التحرك والتبليـغ كما ينبغي تدعيم هذه الخلايا بمكتبات خاصة بالمؤسسات المذكـورة يقع تعهدهـا باستمرار حتى تكون مواكبة لما يجد في ميدان الثقافة الادبية والعلمية بتونس والمغرب والمشرق العربيين بالدرجة الاولى سواء من حيث الكم أو الكيف، وتكون هذه المكتبات تحت اشراف ومراقبة المسؤول عن الاعلام الثقافي بالخلية حتى لا تستحيل الى ركن تودع فيه الملفات والوثائق ومحاضر الجلسات ومطبوعات الرائد الرسمي القديمة ، كما هو الشأن في عدد من المؤسسات وينبغي ايضـا تعزيز الخلية المذكورة بمكتب للتوثيق والارشيـف ليضمنا تسهيـل تداول المعلومات الثقافية في الابان ، ويكون من مهام العاملين بهذا المكتب فرز وخزن المسائل الثقافية والعلمية الصادرة بالصحف الوطنية ووكالة تونس افريقيا للانباء ، والاذاعة والتلفزة مع القدرة على الادلاء والمراجعة لتلك المسائل .

أما التجهيزات فيتعين بذل مجهود مشترك بين وزارتي الاعـلام والثقافـة لاقحام الاطراف المعنية بتنمية الاعلام والثقافة لتجهيز الخلايا المذكورة وما يتبعها من مكتبات ومكاتب للتوثيق والارشيف الى جانب مساهمة المؤسسة بنسبة 50 بالمائة في هذا العمل الثقافي كما سبق ذكره ، كما يمكن طلب اعفاء التجهيزات والادوات الثقافية من الضرائب .

أما بخصوص الاطار الذي يمكن ان يشرف على تنشيط هذه الخلايا ويضمن الاعلام الثقافي كما تصورناه فانه يمكن انتدابه من بين خريجي معهد الصحافة وعلوم الاخبار او من كلية الآداب ، او من المعهد الاعلى لتكوين المنشطين الثقافيين ويتقاضى مرتبه الشهري على حساب المؤسسات التي يتم الحاقه بها ، كما هو الشأن عادة للملحقين .

ونظرا لما ذكرناه سابقا من تمركز للصحافة المكتـوبة بتـونس العاصمة ، فانه يصبح من الضروري النظر في بعث صحافة ريفية تضمن الاعـلام الثقافي الريفي ، خاصة وان المجموعات الريفية تمثل عندنا وبقيـة بلـدان المغـرب العربي نسبة 53 بالمائة من مجموع السكان ، ويكون من مهام هذا النـوع من الصحافة :

- التخفيف من حدة الاعـلام الثقافي الهرمي الـذي يسير مـن القمـة الى القاعـدة .

ـ العمل على خلق التفاعل والمشاركة والحوار بين الجماهير الشعبية حيثما كانت .

ـ الاسهام فى احياء التراث والثقافة الوطنية الشعبية بمفهومها الواسع .

وتدعى فى هذا المجال وزارة الاعلام والجهات المعنية باعفاء الصحافة الريفية ذات الاتجاه الثقافى من الاداءات القارة ، والعمل على تمكينها من اعانة وكالة النهوض بالاستثمارات ، ومنح صندوق التعويض بخصوص ورق الطباعة والتجهيزات الضرورية ومساعدة المؤسسات الصحفية الوطنية والقومية .

ولعله من الوسائل الناجعة ايضا من تطوير الاعلام الثقافى النظر فى امكانية بعث اذاعات جهوية جديدة بالوسط والجنوب يكون من مهامها الاولى :

ـ التركيز على حل المشكلات الثقافية المحلية .

ـ تشريك المواطن الريفى فى العمل والاعلام الثقافيين .

ـ تشريكه فى التعبير عن مشاغله .

ـ منحه الفرصة للتفاعل اكثر مع بيئته والتحاور مع المسؤولين الجهويين .

ولذا يكون من المفيد العمل على تقوية جهاز الارسال لهذه الاذاعات حتى لا يبقى الباب مفتوحا امام سكان الريف لاستماع الاذاعات الاخرى التى قد تسرب اعلاما ثقافيا محرفا ، لا يستجيب لطموحاتنا فى هذا الميدان .

وفى اعتقادى ان الصحافة الريفية والاذاعات الجهوية الجديدة المقترحة ـ يمكن ان تكون ـ اذا قدر لها ان تبعث سدا يحفظ لنا خصوصيتنا الثقافية بما فيها من طرافة وتميز ويصون عموما الثقافة الوطنية والقومية من السلبيات المحتملة للاعلام الثقافى المستورد الذى يصدر عن القناة التلفزية التونسية الدولية التى تبث برامجها باللغات الاجنبية وعن القنوات التلفزية الاخرى التى سيمكن من الاتصال بها حلول القمر الصناعى العربى سنة 1984.

غير ان هذه التصورات والوسائل يمكن ان تبقى حبرا على ورق وكلامها يقال فى ندوة اذا لم تتدخل التشريعات بصفة واضحة وتتبنى مثل هذه المقترحات باعتبارها دعما للثورة الثقافية السلمية من اجل النهوض بالانسان التونسى الجديد ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا بما يتلاءم ومتطلبات العصر الحديث .

هذه بعض الملاحظات فيما يتصل بالوسائل المساعدة على تطوير الاعلام الثقافى على الصعيد الوطنى ، غير ان مقتضيات التفتح على الغير وطموح بلدان المغرب العربى الى مزيد التقارب والتعارف ونزوع الشعوب والسياسة العربية

الى تكثيف الاتصال والتعاون في مختلف المجالات كل ذلك يفرض اليوم الاتجاه الى توسيع مفهوم الاعلام الثقافي المسؤول .

وبهذه المناسبة لا يسعنا الا ان نبارك ظاهرة تكثيف حضور الصحافة العربية المكتوبة ببلادنا التي دعمت الاعلام الثقافي الوطني واحدثت فيه المزيد من الحركية والاهتمام .

ولكن بقي ان ندعو الى تكثيف تبادل البرامج الثقافية والاذاعية والتلفزية ، وخاصة بين بلدان المغرب العربي ، وتبادل الزيارات الدورية بين المسؤولين عن الاعلام الثقافي في مختلف البلدان العربية كما تدعو الى تكثيف التعاون بين اتحاد اذاعات الدول العربية واتحاد وكالات الانباء العربية لتوظيف الاعلام الثقافي واثرائه وتوسيع رقعة انتشاره لا داخل البلدان العربية فحسب ولكن داخل البلدان الغربية كذلك.كما ندعو هذه الدوائر المختصة الى العمل على وضع حد للتعبئة الاعلامية لوكالات الانباء الغربية وخاصة في مجال الاعلام الثقافي .

هذا وتؤكد ندوة اتحاد الاذاعات العربية المنعقدة بتونس في شهر جانفي 1983 ان الدول العربية والعالم الثالث لا يزال يستورد ما يزيد عن 50 بالمائة من برامجها التلفزية والاذاعية بدون ان يصدر عنها مقابل ذلك شيء يذكر اللهم الا ما يتعلق ببعض الوان الفلكلور .

ولن نغفل أيضا عن ذكر اهمية مراكز البحوث العربية وبنوك المعلومات في دعم مسيرة الاعلام الثقافي سواء من حيث الكم أو الكيف .

غير ان هذه الاجهزة المتعددة لن تؤتي اكلها بدون مراجعة موضوعية للبنى الاساسية للاتصال بين البلدان العربية ، وتخفيض تعرفة المواصلات السلكية واللاسلكية وأجور نقل المعلومات الثقافية ومعلوم النقل البريدي والشحن الجوي وغير ذلك من المسائل الفنية والاجراءات الادارية .

ونختم بالقول ان الاعلام الثقافي النزيه والمسؤول لن يفضي في نهاية الامر الا الى تحسين العلاقات الانسانية سواء بين ابناء المجتمع الواحد او بين سائر المجتمعات البشرية ، ويخفف بحكمة ما يفصل بينها من أوجه التباين والفروق الثقافية العازلة .

واعتقد ان الحضارة العربية الاسلامية تؤكد هذا الاتجاه حيث تقول الآية :

«يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» .

البشير السالمي



في الادب التونسي المعاصر

تأليف : أبي زيـان السعـدي

صدر بتاريخ ديسمبر 1982 عن الشركة التونسية للتوزيع (طبعة ثانية) كتاب « في الادب التـونسي المعـاصر » لابي زيان السعـدي بتقديم الاستاذ محمـد مـزالي .

والكتاب مجموعة دراسات نقدية في تقييم الادب التونسي الحديث والمعاصر تتناول خاصة الشعر والقصة باحثة عن الجذور ومحاولة سبر المنابع الفكرية للادب التونسي الحديث تبينا للصورة الحق بالتمييز بين الاصالة والزيف

الباب الخاص بالشعر (نصف الكتاب تقريبا) يتناول بالنقد النزيه والتقييم الموضوعي آثارا تونسية مختلفة هي الآتية : « كفاح وحب » لابي القاسم محمد كرو و « انعتاق » للطيب الشريف و « رحلة في العبير » لنور الدين صمود و « قرط أمي » للميداني بن صالح و « سواحل مهجورة » لجمال الدين حمدي و « رافض والعشق معي » لمحمد مصمولي .

هذا مع محاولة اعطاء لمحة موجزة لكن واضحة كل الوضوح عن «الشعـر التونسي بين المحافظة والتجديد» وعن «القصيدة النثرية» نشأتها وتطورها

وعدة تعريجات على الشابي الشاعر الذى لا يزال يخصب الادب والنقد العربيين منها «لمحات عن الشابي» و «الشابي فى يقظة احساس قومى» .

أما فيما يخص القصة فأبو زيان يتناول أولا «رواد القصة القصيرة بتونس» منذ الورغي (ومقاماته تسبق كثيرا فى الزمن «حديث عيسى بن هشام» للمويلهي) الى أحدث قصصنا المعاصرة ثم يدرس «القصة الفنية وتطور المجتمع التونسي» و «لغة الحوار فى القصة التونسية» وأخيرا «البعث فى اللص والكلاب لنجيب محفوظ» و «الخلفية الفلسفية لسد محمود المسعدى» .

كما يبدى أبو زيان رأيه «فى سبيل التجديد الحق» بعد أن يتناول موضوع «الكتابة واللاكتابة» ثم يتساءل «ما العمل» وهنا تبرز المسائل الكبرى للثقافة العربية والحضارة الاسلامية وكيفية استقامتها وازدهارها ومساهمتها فى الحضارة العالمية ويتحمس الكاتب الى التعريب واللغة العربية التى هى قادرة اليوم كأمس على أن تحمل كل شيء باعتراف غير أبنائها وفى مقدمتهم المستشرق الفرنسى الكبير الاستاذ ريجيس بلاشير حيث يقول متحدثا سنة 1966 بكلية الآداب بالقاهرة «ان العربية ذات ثراء لا يقدر وامكانيات لا تحد ولو كنت عربيا لتجاوزت الحب الى الفخر وهو قمة الوفاء» .

وفى القضايا والمواقف يحاول أبو زيان ابراز «الفكرة والمنهج فى كتاب مواقف للاستاذ محمد مزالى» كما يتناول «معنى الثقافة عند محمد الفاضل بن عاشور» وينهي مجموعة الكتاب بتأملات وآراء «حول الادب التجريبي» .

وهكذا يعاد الادب التونسي – ان اراد الخلود – الى أصله الاصيل وهو الادب العربى وهو رافد من روافده لا يقل أصالة ولا غزارة وعمقا عن روافده الاخرى .

ولا يسعنى الا أن أشاطر الاستاذ محمد مزالى فى قوله فى التقديم : « انه لمن دواعى الارتياح والتفاؤل بمستقبل الادب بهذه الديار أن ينشر هذا الكتاب لتنشيط النقد وتقييم الحركة الادبية التونسية والتعريف بخصائصها والدفاع عن مقومات الثقافة القومية وهو لعمرى عمل غزير بالاراء الصائبة غزير بالمواقف الشجاعة نابض بروح الوفاء لهذا الشعب الذى حطم قيود الاستعباد وانتصر على الاستعمار وهو لا يزال يجاهد من أجل بناء مجتمع مزدهر كريم وفكر حر خلاق» .

صبرا وشتيلا للذكرى

صدر عن منشورات الجنوب بتونس فى ورق ممتاز واخراج أنيق كتاب هام جدا عن مجزرة صبرا وشتيلا التى اقترفتها الايدى الآثمة بالاشتراك مع صهيونية بيغين النازية الوحشية تجديدا لمجازرها المتواصلة التى ابتدأت بمجزرة «دير ياسين» الشهيرة سنة 1948 .

والكتاب ــ توضيحا «لصبرا وشتيلا» وتخليدا لذكراهما وتشهيرا بحقيقة اسرائيل وحلفائها ــ يرسل صيحة الضمير البشرى لتبقى ذكرى هذه المجزرة الشنعاء وصمة فى جبين الانسانية مثل مجازر « تريبلينكا » و «آشويتز» و «بوخنفالد» التى أقيمت من أجلها بعد الحرب العالمية الثانية «محكمة نورينبرق» الدولية .

يتصدر الكتاب حكم العالم العالمى آينشتاين على الهيروت حزب بيغين ورأي المستشار النمساوى برونو كايسكى مع صور الشخصيتين اليهوديتين العالميتين .

ويبتدىء الكتاب بمقالة لروجي نبعة عن تقييم غاية «صبرا وشتيلا» بالانتساب الى كل ما سبقها تاريخيا من آراء ومواقف واعترافات صهيونية تتمثل كلها فى الغاية نفسها من ايجاد «أرض أخلي شعبها فى سبيل شعب لا أرض له» .

ثم يأتى التسلسل التاريخى لمجزرة «صبرا وشتيلا» من يوم الثلاثاء 14 سبتمبر 1982 وهو يوم تفجير عمارة الاشرفية ومقتل الرئيس بشير جميل الى صباح يوم السبت 18 سبتمبر حيث يأمر الجنرال الاسرائيلي يارون قائد الجلادين بمبارحة المخيمين وترحيلها عنهما .

ولا فائدة فى وصف ما جرى اذ تغنى عنه شهادات الاطباء والممرضين والصحفيين والصليب الاحمر الدولى وتقرير لجنة كاهان والصور الناطقة بخاصة الاربعين ساعة من الهول والرعب اللذين سلطا على المخيمين ومن الوثائق التالية :

ــ لبنان «ما لن يقوله شارون أبدا» لجوزيت عالية فى «المشاهد الجديد» (Le nouvel observateur) ليوم 6 نوفمبر 1982 .

ـ « ملف صبرا وشتيلا : محاولة اعادة التسلسل التاريخي للمجزرة » في جريدة التحرير (Libération) ليومى 22 و 23 سبتمبر 1982 .

ـ شهادات مختلفة لمن نجوا بأعجوبة من المجزرة عن مجلة الدراسات الفلسطينية عدد 6 .

ـ التقرير النهائى للجنة التحقيق الدولية (لجنة كاهان) فى حوادث مخيمات اللاجئين ببيروت .

ـ « من المجازر الديمقراطية » لاليان هاليفى : مقتطفات .

ـ مقدمة رئيس اللجنة الدولية سين ماك برايد :

مقتطفات أيضا .

ـ وأخيرا عرض وجيز لكتاب أمون بابيليوك عن صبرا وشتيلا : «تحقيق عن مجزرة» فى سلسلة «التاريخ المباشر» التى تصدرها الدار الفرنسية للنشر «لوساي (Le Seuil) » .

ـ ومقتطفات من الصحافة العالمية المتفقة جميعها على هول المجزرة وجبن مقترفيها ووحشيتهم .

وخلاصة القول : إن هذا الكتاب شهادة وحجة دامغة على ارتكاب جريمة شنعاء مهولة يندى لها جبين الانسانية وتلطخ بها حضارة القرن العشرين اذ تنتصر القوة الغاشمة على الحق المظلوم وتقترف ما لا يتصوره العقل من مظالم وجرائم دونما عقاب ويقف العالم أجمع والامم المدعوة بالمتحدة مكتوفة الايدى أمام قوة تسخر من مجموعة كافة دول العالم وتعبث بحقوق الانسان المعترف بها قانونا وبالحيوات المقدسة فتبيد منها المئات من الاسر شيوخا ونساء واطفالا وحتى أجنة فى بطون أمهاتها وتدنس المقدسات دونما حياء .

وسيبقى هذا الكتاب رمزا للذكرى ووازعا للهمم العادلة الصادقة فى حالة استحالة اقامة « محكمة نورنبرق » دولية جديدة .

في طرق تدريس اللغة العربية

من منشورات المعهد القومى لعلوم التربية الذى يديره بكل جدارة وجد صديقنا الاستاذ المنجى الشملى صدر بتاريخ اكتوبر 1980 للصديق والابن العزيز محمد بن اسماعيل الخبير بتعليم العربية للناطقين ولغير الناطقين بها كتاب بعنوان : «فى طرق تدريس اللغة العربية» .

والكتاب ـ بعد التعرض فى المقدمة الى الطرق العصرية والوسائل الحديثة التى أخذت تغزو ميدان التربية والتعليم وكيفية الاستعانة بها وأهمية استعمالها وبعد العرض العام لقطاعات العمل التربوى ـ يتكون من مجموعة نماذج مرفوقة بتقارير من تجربة الكاتب الخاصة اثناء ممارسة مهنته التوجيهية فى كل من تونس وفرنسا ودول الخليج فى مختلف أنواع دروس اللغة العربية .

ولا أدق وأشمل ـ للاشارة الى محاور الكتاب الاساسية ـ من كلمة الاستاذ الشملي فى تقديمه للكتاب .

«الواقع التعليمي للغة العربية هى العمدة فى الدراسة ومن خلال تشخيص هذا الواقع تبرز قضية تدريس اللغة بالطرائق النظرية والوسائل العلمية المعهودة منها والجديدة وكذلك تبرز قضية اعداد معلم اللغة العربية نظريا ومهنيا ومواصلة تدريبه وتوجيهه فنيا وتبرز أيضا قضية ضعف مستوى تعليم اللغة العربية مع محاولة تحسس أسبابها العلمية والاجتماعية المادية ... وأما قضية المناهج والبرامج فهى أم القضايا ...»

وهكذا تبدو أهمية هذا الكتاب الخطير الشجاع فى درس واقع التعليم العربى وتحليله وابداء الرأى فيه دون مجاملة ولا مداراة ولا تزييف ولا تحيز ولا قسوة أيضا .

واذا أردنا الاصلاح الحقيقي لواقع لا يمكن دون خطر جلل أن يبقى على ما هو عليه فلا مناص من النظرة الموضوعية الجادة ومن وضع الامور فى نصابها الحقيقي ومن الاقدام فى وضوح وحكمة وتبصر على ما يتحتم القيام به لتلافى ما يتردى فيه الوضع الراهن لتدريس اللغة العربية مع انتهاج الطرق العلمية المناسبة الكفيلة بالنجاعة وفى مقدمتها تكوين العامل الاساسى المحرك ألا وهو المعلم التكوين الصحيح المرضى بل الممتاز تربويا ومهنيا واخلاقيا اذ كما يقول الاستاذ محمد بن اسماعيل نفسه :

«لا ريب أن دور المعلم فى مسيرة البلاد العربية نحو النمو والتقدم هو الدور الاساسى إذ عليه تنبنى الحضارة وبه ترسى قواعد المجتمع» .

وحتى عند بلوغ تلك الغاية فلا يمكن للمعلم أن يقوم برسالته الاساسية تلك الا اذا كان فى مأمن ماديا ومعنويا بالرفع من شأنه واعادة اعتباره .

محسن بن حميده

قراءات سريعة

• الشيخ مرسى يتزوج الارض :

من منشورات دار نعمان للثقافة صدرت سنة 1982 باللغة الفرنسية لمحمود كامل مجموعة قصص مصرية بعنوان : «الشيخ مرسى يتزوج الارض» وهو عنوان القصة الاولى من الاحدى عشرة قصة التى تحتويها المجموعة وكلها قصص قصيرة مدارها الريف أو القرية او المدينة وتطرح مشاكل ومآسى وتصور أجواء ومظاهر من صميم المجتمع المصرى فى حبكة اديب اصيل ثابت يتعاطى كتابة القصة المصرية بجانب الآخوين تيمون والشرقاوى ومحفوظ والسباعى وادريس وغيرهم وذلك منذ سنة 1929 بلا انقطاع ويتصدر معهم القصة المصرية مع ميزة رجل القانون والخبير الذى شغل مناصب لدى جامعة الدول العربية والامم المتحدة والذى ترجمت آثاره الى اللغات الفرنسية والانقليزية والالمانية .

• شعراء على مسرح التلفزيون :

صدر من منشورات اتحاد اذاعات الدول العربية بتونس .

فى سلسلة «نصوص ونماذج» كتاب «شعراء على مسرح التلفزيون» تأليف رئيس الاتحاد عبد الله شقرون ويحتوى بعد مدخل عام على خمسة فصول الاول جوهرة والثانى الشاعر المفتون والثالث ابن الطيب والرابع رحلة شاعر والخامس الحراق .

• وثائق التراث الاندلسى :

صدر بتاريخ 1983 الكتاب الخامس من مجموعة وثائق التراث الاندلسى المستخرجة من مخطوط «الاحكام الكبرى» للقاضى أبى الاصبغ عيسى بن سهل الاندلسى بتحقيق الدكتور عبد الوهاب خلاف من معهد التربية للمعلمين بالكويت .

وهذا الكتاب الخامس خاص «بالمساجد والدور» من «وثائق فى شؤون العمران فى الاندلس» وهو مرفق بالمراجع وبعدة فهارس : للاعلام ــ للاعلام

الجغرافية ـ للالفاظ ذات الدلالة الخاصة ـ للطوائف والجماعات وأصحاب المهن وللكتب والوثائق والرسائل ٠

◆ **كفـر أسـد :**

صدر عن دائرة المطبوعات والنشر بعمان سنة 1974 من شعر حسين رشيد خريس كتيب « كفر أسد » تشنيعا بأعمال الصهاينة الوحشية وتخليدا لاستبسال الشهداء ومقاومة أبناء تلك القرية الاردنية الشهيدة ٠

◆ **بناء المغرب العربي :**

وافتنا فصلة من كتاب «بناء المغرب العربي» للدكتور الهادى حمودة الغزى بعنوان الفكر العربى والوحدة : بناء المغرب العربى الكبير ٠ فشكرا فى انتظار الكتاب ٠

◆ **ظاهرة العلم الحديث :**

صدر بتاريخ سبتمبر 1983 فى سلسلة (عالم المعرفة) التى يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب بالكويت كتاب بعنوان **«ظاهرة العلم الحديث»** للدكتور عبد الله العمر وهو دراسة تحليلية وتاريخية لوجهات النظر المختلفة لظاهرة الثورة العلمية عند فلاسفة العلم ومؤرخيه ولجملة الظروف التى أحاطت بظهورها والعوامل الفكرية والاجتماعية فى نشأة العلم الحديث مع ابراز دينامية التطور العلمي واستمرارها ٠

◆ **أبنـاء السندبـاد :**

صدر بتاريخ 1982 عن مطبعة حكومة الكويت كتاب **«أبناء السندباد»** لالن فيلييرز (Alan Vliersi) فى ترجمة عربية للدكتور نايف خرما ٠

وهى قصة الملاحة العربية العظيمة فى المحيط الهندى قصة الابحار مع العرب فى مراكبهم الشراعية فى البحر الاحمر سأحل الجزيرة العربية ٠ الى زنجبار وتنفانيكا وقصة الغوص على اللؤلؤ فى الخليج العربى مع وصف لحياة ربابنة السفن والبحارة والتجار فى الكويت ٠

◆ **منشورات الألكسو :**

وصلتنا من ادارة التوثيق والمعلومات للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جملة من المطبوعات التى صدرت عنها فى الفترة الاخيرة وهى :

① **نشرة المعلومات :** عدد 27 تونس 1983 عن ادارة التوثيق وتشمل محتويات العدد ثلاثة أجزاء :

الاول فى نشاطات المنظمة : المدير العام والادارات والاجهزة بقطاعاتها المختلفة ثم نشاطات الوطن العربى ونشاطات عالمية بما فيها اليونسكو .

ويتكون الجزء الثانى من بيبليوغرافيا عامة فى التربية والثقافة والعلوم والاعلام والمعلومات .

ويشمل الجزء الثالث مختارات من الانتاج الفكرى الحديث .

② **وسائل الاعلام والدول المتطورة :** سلسلة « دراسات اعلامية » عدد 2 عن ادارة الاعلام وهو فصل للاعلامى فرنسيس بال تعريب الاستاذ حسن العودات . يتعرض الى قضايا أساسية فى الاعلام من حيث بنيته ووسائله وأنظمته ودوره وفاعليته فى المجتمع المعاصر والمفهوم من هذا الفصل أن ادارة الاعلام وضعت هذه السلسلة فى اطار خطة تهدف الى دعم الوعى الاعلامى العربى فى صورة علمية منهجية ليكون ذلك رافدا من روافد اليقظة العربية الشاملة .

③ **المجلة العربية للثقافة :** العدد الرابع ، السنة الثالثة ، مارس 1983 ، يحتوى على ثلاثة ملفات :

الملف الاول فى واقع الكتاب العربى فى السبعينات وآفاقه فى الثمانينات تأليفا وترجمة متبوعا بالنشرات العربية للمطبوعات قطريا وقوميا .

الملف الثانى فى دراسات متنوعة فى الثقافة واللغة والشعر والمعمار الاسلامى فى المشرق .

والملف الثالث ملف اعلامى للمؤتمرات واللجان والندوات خاصة فى ميادين التراث والآثار والمدن .

④ **قراءات فى التربية الاسلامية :** عن ادارة الآداب للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وهى مجموعة الدراسات التى اعدها علماء ومربون ومسؤولون فى ميدان التربية والتى تتناول مفهوم النظرية التربوية الاسلامية (القسم الاول) وبعض مجالاتها وتجاربها فى حقل التعليم خاصة حول تعليم (القسم الثانى) وموضوع ملاحق الكتاب الندوتان العلميتان اللتان دارتا حول هذه البحوث والدراسات والتجارب :

أ ــ التقرير النهائى والتوصيات لندوة الخبراء حول موضوع أسس التربية الاسلامية التى أقيمت بمكة المكرمة من 26 أفريل الى 1 ماى 1980 .

ب ــ العرض والتوصيات لندوة تعليم القرآن الكريم للمبتدئين التى أقيمت كذلك بمكة المكرمة من 7 الى 12 مارس 1981 .

⑤ **مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي :**
تكون هذه الوثيقة القيمة الصادرة عن ادارة الثقافة للمنظمة الملف الكامل للشؤون الثقافية العربية ابتداء من المؤتمر الاول للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي المنعقد بعمان فى ديسمبر 1976 الى اجتماع الخبراء الحكوميين حول السياسات الثقافية فى البلاد العربية المنعقد بتونس ما بين 23 و 27 من نوفمبر 1981 والذى انبثق عنه التقرير العام النهائى والتوصيات التى تقدمت بها مجموعة الاقطار العربية الى مكسكو فى جويلية 1982 .

• **الطاهريون :**

أطروحة الاستاذ المنجى الكعبى التى نال بها دكتوراه الدولة من جامعة باريس الصربون بتاريخ 1 مارس 1971 .

وهى دراسة قيمة تاريخية وأدبية لدولة بنى طاهر بخراسان وبالعراق فى القرن الثالث الهجرى والتاسع الميلادى منشورة بالفرنسية بتاريخ ماى 1983 بتونس

فبعد توطئة وجيزة وقائمة مصادر ومراجع مع نقدها تزيد عن 40 صفحة تنقسم الاطروحة الى اربعة أبواب :

يتناول الباب الاول عرضا لحالة خراسان السياسية والاجتماعية قبل الطاهريين وولائهم للعباسيين ودورهم فى الدعوة العباسية وفى النزاع بين الامين والمأمون ومواجهتهم لبني ماهان ثم ظهور طاهر على الساحة السياسية بكل تقلبات الوضع وعديد الوقائع الحربية قبل تعيينه على رأس الشرطة ببغداد وامارة المغرب وولاية خراسان .

الباب الثانى فى الولاة الطاهريين بخراسان يشمل تراجمهم وظروف تعيينهم وانتصاراتهم الحربية ونشاطهم الادبى وشعرائهم .

الباب الثالث يتناول قواد الشرطة الطاهريين ببغداد على غرار الثانى للولاة بخراسان .

وأخيرا يتناول الباب الرابع الطاهريين الاقل شهرة فى السياسة لكن المشهورين فى الميدان الادبى .

وتختم الاطروحة خرائط وفهرس للاعلام .

وللاطروحة ملحق عربى منشور على حدة فى « أدب الطاهريين فى خراسان والعراق » يحتوى على مجموعة أشعارهم وأشعار من التف حولهم من الشعراء.

◆ **نظريـات التعلـم :**

في سلسلة « عالم المعرفة » التى يصدرها المجلس الوطنى للثقافة **والفنون** والآداب بالكويت صدر بتاريخ اكتوبر 1983 كتاب فى علم النفس التربوى وهو دراسة مقارنة فى « نظريات التعلم » تعريب الدكتور علي حسين حجاج عن كتاب شامل يعرض كافة النظريات التى ظهرت منذ بدء القرن العشرين فى مجال البحث فى موضوع التعلم .

والكتاب ـ بعد مقدمة المترجم وتصدير الجامعيين ـ يشمل خمسة فصول لاختصاصيين فى مختلف نواحي ميداني التربية وعلم النفس واذ التعلم هو حجر الاساس الصلد الذى ترتكز عليه نظريات علم النفس الاخرى والمفهـوم الاساسى لماهية الطبيعة البشرية وكيفية تطـورها وتغييرهـا فان الكتـاب يحاول تقصي ميدان التعلم بطريقة شاملة وموجزة موثوقة ومحكمة .

ومن الناحية العملية أيضا إن سعادة الانسان وشقاءه يقومـان على فهـم أفضل لقضية التعلم وأهم مشاكلنا العملية مثل : كيف نربى **الاطفال ؟ وكيف** نضمن زواجا سعيدا ؟ وكيف نتجنب الحروب ؟ وحتى كيف نكسب عيشنا ؟ هى أساسا قضايا من قضايا التعلم .

لذلك كان للتعلم أهمية بالغة عند علمـاء النفس المحتـرفين والـدارسين والباحثين والراغبين فى استكشاف أقصى آفاق العقل البشرى على السواء .

ومن مزايا الكتاب ان كل فصل منه تليه قائمة ثرية من المـراجع لكـل من أراد التوسع والتعمق .

◆ **نقابات الاعراف التونسيين : 1932 ـ 1955**

صدر عن دار محمد علي الحامي بصفاقس تونس 1983 للهـادى التيمـومى أستاذ التاريخ المعاصر بالجامعة التونسية كتاب بالعنوان أعلاه .

وإن لم تكن هذه الدراسة الاولى التى تتعرض الى نقابات الاعراف التونسيين اذ سبقتها « التوطئة لدراسات نقابات الاعراف بتونس » وهى أطروحـة دكتوراه المرحلة الثالثة فى التاريخ للاستاذ رضا التليلي التى لم تزل مخطوطة. فانها الدراسة الكاملة الشاملة تقريبا فى الموضوع وفى الفترة مـا بين 1932 و1955 **وقد بقي أهم مرحلة منها نعني مرحلة ما بعد الاستقلال الى اليوم أى مدة ما يقرب من ثلاثين سنة فى عهد الحرية والانفتاح والتطور وهى هـامة جـدا بالنسبة للتاريخ الاجتماعى التونسى .**

لكن هذا لا ينقص شيئا من أهمية هذه الدراسة القيمة التى تلقي الاضواء

على الاوضاع المادية والتنظيمية والتكتلية للاعراف الفلاحين والصناعيين والتجار بتوفير المصادر والمراجع العربية والاعجمية لكل باب من أبواب الكتاب بما فيها التي لا تزال مخطوطة أو مبعثرة في الصحف والمجلات .

• من قضايا المعجم العربي :

صدر عن المعهد القومي لعلوم التربية في « سلسلة الدراسات اللغوية » بتاريخ 1983 كتاب للدكتور محمد رشاد الحمزاوي كتاب بعنوان « من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا » .

والكتاب في بابين :

الباب الاول في « تاريخ المعجم ومنهجه » وهي محاولة في وضع أسس المعجمية العربية تعبيرا ومنهجا بطرح موضوع طريقة ابن منظور في « لسان العرب » ومكانة « مخصص » ابن سيده من المعجمية العربية المعاصرة .

والباب الثاني في « المعجم الالسنية » وهي دراسة بعض عناصر المعجم العربي على ضوء الدراسات اللغوية الحديثة تعتمد في ميدان التطبيق على المعاجم العربية الحديثة كالمنجد والوسيط وغيرهما دون اهمال شأن المعاجم الكبرى التي سبقتهما .

وينتهي الباب والكتاب بمحاولة قراءة جديدة في المعجم العربي على ضوء الالسنية الحديثة .

• شرق المتوسط :

صدر عن دار الجنوب للنشر بتونس في سلسلة « عيون المعاصرة » كتاب « شرق المتوسط » للكاتب عبد الرحمان منيف وهو أردني المولد بغدادي التخرج يغسلافي التخصص مقيم حاليا بأوربا يحمل أبرز هموم المواطن العربي على ضفاف البحر الابيض المتوسط حتى أعماق الصحراء البعيدة تلك المنطقة من الارض التي يستبد العنف بحاضرها مثلما استبد بماضيها والتي يقول عنها شاعرنا : « يموت المرء فيها بالزفير مرة ومرتين بالشهيق » وضحايا القمع والعسف يلعنون من فرط المعاناة القدر الذي جعلهم فيه يولدون ...

ولكن ... من الشقوق تتقوض الصروح ...

ولقد أشار عبد الرحمن منيف في هذه الرواية الى الصرح ودل على الشقوق فيه .

• **عـالم بـلا خـرائط :**

رواية ثنائية التأليف أعني أن لها مـؤلفين همـا جبـرا ابـراهيم جبـرا وعبد الرحمان منيف .. وهي تجربة جديدة في الادب العربي لا أدرى هل كان من الضروري ان تدخل فيه وهي دخيلة عليه لأنني دون تعصب أو تزمت لا أتصور بوضوح كيف تكون المشاركة بين المؤلفين اللهم الا أن تكون الفكـرة مثلا لأحدهما والتحرير والتصوير للآخر كما يجسم كاتب قصـة سنمـائية فكرة وردت لغيره وهذا مألوف ثم إن لم تكن مشاركة المؤلفين على هذه الصورة التي ذكرت قد يكون مثلا كل واحد منهما حرر فصولا من الرواية فلا يكون اذذاك في الرواية وحدة في التصـور ولا وحـدة في التفكيـر ولا وحـدة في الاسلوب ولا حتى وحدة في الخيال وقد أكد المؤلفان أن شخصيـات الـرواية وأحداثها وأماكنها بخاصة من خلق الخيال .

والرواية كلها تساؤلات تتداخل فيها الاسئلة والاجوبة بحيث أحيانا بل في أكثر الاحيان يصعب القول أيتهمـا هي الاسئلة وأيتهمـا هي الاجوبة وفي متابعة الجدلية القائمة في فصولها يبقى الشك مثارا ومثيرا باستمرار فتبقى عمورية الخيالية « عالما بلا خرائط » باستمرار أيضا .

ألم يكن السر الحقيقي في ذلك الانسان الذي ولد منذ حوالي ألف وثمانمائة سنة (إن كانت خيالية فلم هذا التاريخ بالضبط أليس من الاوفـق أن كان أعرق في القدم ...) في قرية سورية قريبة من عمورية وسافر فرأى الدنيا واختبر الحياة وعاف البشر ثم رجـع الى قـريته الصغيـرة ليكتب ... ليكتب الحقيقة (وهل هناك حقيقة) التي وجد الناس يتحاملون عليها ليكتب في كثير من السخرية من جهل الآخرين وفارغ ادعاءاتهم ...

قد يكون ذلك وقد يكون غير ذلك وقد لا يكون شيء من هذا ولا ذاك ... فعلى كل ان لكل قارىء لهذا الكتاب الحرية في الفهم وفي الحكم .

• **رسـائل سجيـن جـالطـة :**

من منشورات الحزب الاشتراكي الدستوري صدر بتاريخ ماى 1983 مجموعة « **رسائل سجين جالطة** » التى تشتمل على 82 رسالة للمجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة بتقديم الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول والامين العام للحزب الاشتراكي الدستوري وتوطئة الاستاذ المنصف الشنوفي مدير معهد الصحافة وعلوم الاخبار .

كتاب قيم يثرى المكتبة التونسية ويمثل وثيقة هامة من وثائق الحركة الوطنية المباركة ولبنة ممتازة في بناء تاريخ تونس المعاصرة بما يزيـده من ايضـاح للالمام بشخصية المجاهد الاكبر الفذة .

◆ **نون والقلم ؟ أم نون أخرى ؟ :**

« **ن** » رواية لهشام القروى من منشورات ديميتير تونس 1983 .

قصة الحياة والموت قصة الأزل فلماذا البحث عن البدء والنهاية معروفة محتومة مبرمجة منذ الخلق لا يمكن تغييرها قيد شعرة لا يمكن إبدال خلية منها ولا أبسط ذرة فيها .

وما البحث عن السر والحقيقة والسر والحقيقة ليستا من أمرنا وفى هذا اللغز سر الحياة وسر الكون وسر استقامته واستمراره .

وما الفائدة فى الوقوف وجها لوجه مع الحقيقة مع العجز عن تبين ملامحها والتقصير عن سبر أسرارها والمحاولة اليائسة والمستحيلة عن التعبير عنها .

فالانسان كل شيء إذ أنه معدن كل شيء أو قل إنه محور عجيب صهرت فيه كل معادن الكون والامران سواء اذ هو الارض ترابها وماؤها معادنها ونباتها و ... وهو السماء هواؤها وأجواؤها وكواكبها وأضواؤها ونيرانها وكل شيء فيه منه متحول عبره .

من حكمة الخلق أن جعل الانسان يبحث عن كل شيء عن كل سر عن كل حقيقة بينما هو كل شيء كل سر كل حقيقة .

ولمثل هذا البحث وهذا التفكير بقية باقية لا تنتهى أبدا ما بقي الكون وما بقي الانسان فى هذا الكون .

ويبقى مع ذلك أيضا نبش التاريخ واعادة العظام وهى رميم والتطلع الى المستقبل وهو لا يزال وهما .

◆ **أصوات وأصداء :**

صدر لصديقنا وصديق تونس الاستاذ فاضل خلف بتاريخ 1983 كتاب « **أصوات وأصداء** » وهى مجموعة تأملات وذكريات وأراء أدبية ونقدية شاملة للأصوات وأصداء مشرقية ومغربية .

والكتاب قسمان :

ففى القسم الاول : « أصوات عالية » تجتمع أصوات شوقى والعقاد ونعيمة والمعداوى ومحمود طه من المشرق بأصوات عبد الحميد بن باديس وعلي الدوعاجى من المغرب .

وفى القسم الثانى : « أصداء بعيدة » خواطر حول جولات قام بها الكاتب الشاعر فى أوقات مختلفة فى المغرب (الجزائر - تونس - الاندلس) وايطاليا.

وهكذا بالرغم عن بعد المسافة اليوم بينا وبين الصديق فاضل خلف فانه لا يزال معنا بكتاباته وتعاطفاته وما نلمسه فيها من صادق الحنين الينا ليس من شأنه أن يشرفنا فقط بل أن يجعل الروابط الروحية والفكرية بيننا دائما متينة وخفاقة .

• **شمس الهندباء :**

وافتنا شمس « الهندباء » قصيد طويل لكريم الشيباني من منشورات دار الستوكي للنشر بالرباط لسنة 1983 . وهذا القصيد الطويل يصرخ بمأساة الشاعر وبغربة الانسان فى هذا الزمن الجائر هذا الزمن البغي الذى « ينكر فيه الآباء أبناءهم والصبايا أمهاتهم » هو الزمن المهزلة الذى فيه « أصيبت المدائن ـ التى تسافر اليها القطارات الحزينة ـ بالطاعون والشعارات والاغبياء » هذا الزمن الجفاف الذى « يضحكون فيه على الحلم ... على الشعر ... على القلب » .

فلا طريق غير الرحيل الهروب الى جنة الطفولة اليانعة أزهارا ونجوما الى الوطن المفقود الى الحرية المصلوبة مع العلم أنه :

« لا يستوي زمن العشق مع العبودية »
« ولا يستوي زمن الدهشة مع العصابات »
« ولا تستوي البراءة مع سارقي الشمس »

وأى وطن هذا ألذى تشنق فيه العصافير وتحاصرالورود لكن « غدا » (وغدا لصانعه قريب) ستكون الامة الواحدة وسيكون الوطن العربى الذى ما يكاد يراه الطفل العربى « على السبورة حتى يبدأ فى الركض » وقد أصبح الحكم حقيقة وواقعا معاشا .

• **النفط والتعاون العربى :**

صدر من المجلد السابع العدد الاول لمجلة « **النفط والتعاون العربى** » وهى كما هو معلوم مجلة فصلية تصدر عن الامانة العامة لمنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول .

وهذا العدد الدسم خاص بالدور التنموى للعوائد النفطية فى الوطن العربى . ومواضيع العدد مزدوجة بالعربية والانقليزية كما به ببليوغرافيا هامة فيما يزيد عن 60 صفحة تشتمل على أحدث المعلومات الصادرة فى الكتب والدوريات باللغة العربية والانقليزية .

• **ذكريات محارب قديم :**

لجمال السيد ـ صدر سنة 1979 عن المؤسسة الصحفية العربية « الشعب » بالقاهرة .

والكتاب صفحات من تاريخ البطولة المصرية ليس القصد منها تاريخا لفترة معينة انما القصد منها التعريف بالمحارب المحترف من حيث هو انسان يؤدى وظيفته فى الدفاع عن الوطن ويعيش فى آن واحد حياته بكل ما يعتمل فى النفس من انفعالات ودوافع ومدركات .

وللكتاب سمة خاصة تجمع بين الواقع الحقيقى من جهة ومن أخرى الطرافة والهزل وحتى السذاجة أحيانا .

● **تونس تشارك فى المؤتمر العام لليونسكو :**

انعقدت الدورة الثانية والعشرون للمؤتمر العام لليونسكو بمقر المنظمة بباريس من 25 اكتوبر الى 29 نوفمبر 1983 .

وشاركت تونس فى هذه الدورة بوفد يرأسه السيد محمد فرج الشاذلى وزير التربية القومية ورئيس اللجنة الوطنية التونسية للتربية والعلم والثقافة ـ ينسكو ـ الكسو ـ وضم ممثلين عن مختلف القطاعات المعنية بشؤون اليونسكو .

ولهذه الدورة أهمية خاصة نظرا لانها نظرت فى مشروعى البرنامج والميزانية لسنتى 1984 ـ 1985 وهى المرحلة التنفيذية الاولى لخطة متوسطة الاجل للسنوات 1984 ـ 1989 التى تمت المصادقة عليها خلال المؤتمر الاستثنائى الرابع المنعقد فى نوفمبر ـ ديسمبر 1982 .

لقد اتخذت الخطة متوسطة الاجل الثانية من تحليل المشكلات العالمية منطلقا لها ومن هنا تم تحديد خمسة مهام رئيسية يمكن تحديدها كما يلى :

1) الاسهام فى دراسة مشكلات العالم الراهن دراسة متوسطة تساعد على تعزيز ادراك المجتمع للمصير الذى اصبح يوحد بين الافراد وكذلك بين الشعوب .

2) الاسهام فى خلق الظروف الملائمة لمشاركة الافراد والجماعات على أوسع نطاق فى حياة المجتمعات التى ينتمون اليها وفى حياة المجتمع العالمى .

3) الاسهام فى تعزيز القدرة على مواجهة المشكلات بتشجيع تنمية التعليم وتحقيق ديمقراطية وتقدم العلوم وبمضاعفة وتطوير الطاقات الابداعية ـ العلمية والتقنية ـ لصالح كل الشعوب وبدعم الاستعدادات والقدرات وتنمية البنى الاساسية للبحوث والتدريب وبتشجيع التداول الحر للمعارف والدراية الفنية .

4) الاسهام فى تيسير التطورات والتحولات التى أقر المجتمع الدولى فى مجموعه بضروريتها فى المجالات التى يسفر فيها تلاقى الآمال عن توافق فى الآراء على أوسع نطاق .

5) حفز وتشجيع تجديد القيم فى منظور تفاهم حقيقى بين الشعوب والاسهام بذلك فى تقدم قضية السلام وحقوق الانسان .

أصداء الفكر

● **كتاب محمد مزالي يتحدث عن الكويت :**

جريدة « الـرأى العـام الكـويتية » فى عددها الصادر فى 83/10/23 تكتب عن كتاب الاستاذ محمد مزالى الذى عنوانه : « فى سبيل وحدة المغرب العربى الكبير » ما يلى :

أصدر جهاز الاعلام والتوثيق فى رئاسة مجلس الوزراء التـونسى كتابـا بعنوان : « فى سبيل وحدة المغرب العربى الكبير » يتضمن مقالات ومحاضرات وخطب وأحاديث صحفية لرئيس الوزراء التونسى منذ عام 1957 حول وحدة المغرب العربى الكبير .

ويتضمن الكتاب 24 عنوانا لهذه المقالات والمحاضرات والخطب والاحاديث الصحفية التى تعكس فكر السيد مزالى وفلسفته تجاه حتميـة بنـاء المغـرب العربى الكبير وتجاه قضايا عربية واسلامية أخرى رأينا أن نقدمها هنا فى عرض سريع موجز .

ففى محاضرته باللغة الفرنسية التى القاها فى جامعة برنستون بالولايات المتحدة بتاريخ 26 ابريل 1982 يستشهد السيد مزالى على الشعـور المعـادى للمسلمين والعرب فى البلاد الغربية بفقرات مسمومة أوردتها مجلة الاكسبرس الفرنسية فى عددها الصادر بتاريخ 16 ابريل 1982 ضمن سلسلـة مقـالات وصفية خصصتها للفرق المترشحة للدور النهائى لكـأس العـالم لكرة القدم الذى جرى فى اسبانيا .

والكويت كما هو معلوم لدى الجميع لا يمكن ان ينال مثل هذه المرتبة بغير المال والحمية .. وكان كرة القدم لا تثير الحمية فى فـرنسا او فى غيرها من البلدان .. وكانها لا تقع تحت سيطرة المتهـافتين على المـال من كل حـدب وصـوب .

ويضيف ان خاتمة مقال الاكسبرس الذى كتبه جاك بيوب لجديرة بان تنقل برمتها طالما رشحت عنصرية وتحاملا .. حيث يقول جـاك بيـوب هذا انهم يجاهدون فى سبيل الله ومن أجل الكويت .. انهم جميعـا الكويتيون الخلص

سواء كانوا من الدرجة الاولى او الثانية .. وعلى كل فهم كويتيون وعندما يأتي الآلاف من انصارهم الى اسبانيا وعلى رأسهم الامير جابر الاحمد .. عندئذ تدق الطبول وتعلو الاناشيد الجماعية بعودة الغزاة الموحدين .. فالى الامام قائد الفريق الفرنسي بلاتيني . ولتذكر شارل مارتيل الذى أوقف الزحف الاسلامى فى بواتيي بفرنسا وذلك قبل النزول الى الميدان .

ويستشهد السيد مزالى فى محاضرته هذه بأقوال عدد من الكتاب الغربيين أمثال : ريمون شارل ـ وبسكاي ، ومونتانيي ، وشارك ، ولوكور ، وبرتان ، وشلهود ، وبال ، وافتراءاتهم طوال عدة عقود من الزمن على الرسول صلى الله عليه وسلم والاسلام والمسلمين والعرب .

ولا شك بأن استعراضا سريعا لفكر السيد مزالى الذى تضمنه كتابه « فى سبيل وحدة المغرب العربى الكبير » لا يفيه حقه ويظل عملا ناقصا لا يمكن ان يكتمل الا بقراءة نصوص هذا الكتاب من الدفة الى الدفة .

● **فى افتتاح أيام قرطاج المسرحية :**

ألقى وزير الشؤون الثقافية الاستاذ البشير بن سلامه فى افتتاح أيام قرطاج المسرحية الكلمة التالية :

تقاليد المسرح فى تونس عريقة فى التاريخ ومساهمة الفرق التونسية فى هذا الفن كبيرة وطنيا وعالميا ولكننا أردنا اضافة جديدة تتماشى مع تطور المجتمع التونسى ومتانة علاقاته مع أمم العالم فكان ميلاد المسرح الوطنى التونسى متوافقا مع انطلاق الدورة الاولى لأيام قرطاج المسرحية .

وليس من قبيل الصدفة أن يقترن انطلاق هذه الايام مع ذكرى الخطاب التاريخى الذى خصصه المجاهد الاكبر فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة منذ احدى وعشرين سنة فى مثل هذا اليوم من سنة 1962 لوضع الاسس التى ينبغى أن تقوم عليها النهضة المسرحية فى بلادنا فهو اذن موعد متجدد مع أسبوع المسرح الدورى أردنا توسيع دائرته ليشمل البلاد العربية والافريقية وغيرها من الدول الصديقة على غرار أيام قرطاج السينمائية .

هذه فرصة أخرى نغتنمها لدعم الحوار بين العرب والافارقة وتركيز أسس التعاون والتدبر فى شؤون الانتاج المسرحى والتفكير بعمق فى طريقة الارتقاء بانماط التعبير الجمالى ضمانا لمزيد من الخلق الاصيل والابداع الحق .

وليس أيام قرطاج المسرحية بهذا التصور مناسبة استعراضية لاعمال مسرحية فحسب وانما هى تندرج ضمن نظرة للثقافة لها بعد انسانى شامل وطنيا وعالميا .

لتكن هذه التظاهرة حلقة أخرى يرتقى فيه التعبير المسرحى أعلى المراتب ويعطى ثمرة مجهوداتنا فى هذا الميدان فتكون هذه خطوة أخرى نقطعها بهدى من السنة البورقيبية الحميدة القائمة على التحاور والتعاون والتفتح لما فى ذلك من تلاؤم بين ضروب ثقافات الشعوب وتطلع الى ابداعات الامم ودعم لجسور التعارف والتواصل والتضامن فيقوم بذلك المسرح بدوره الحيوى والفعال كرافد من أهم روافد البناء الحضارى الشامل .

فليست هذه الايام تظاهرة خاصة بالتونسيين فقط وانما هى مجال أرحب يمكن العرب والافارقة على حد السواء من التبارى فى هذا الفن العريق محتكين فى ذلك بما تقدمه البلدان الصديقة الاخرى التى شرفتنا بمشاركتها .

ولا نعتقد أننا فى حاجة الى التأكيد على أن مسؤولية النهوض بمستوى التعبير الجمالى لا تقع على الدولة وحدها وانما هى مسؤولية مشتركة يضطلع فيها المبدع بالدور الاساسى .

فاذا ما قامت ألدولة بواجباتها تجاه الفنان وحبته بالرعاية والدعم والتكريم ووفرت له أسباب العزة والكرامة فانه يبقى على الفنان أن يجتهد فى البحث والتجريب لتجديد صيغ التعبير وأن ينصرف للانتاج والعطاء حتى تزدهر مسارحنا وتبغ المستوى الابداعى الحق .

وفيما يخصنا فقد بادرنا باصدار قوانين أساسية بما يضمن للهياكل المسرحية المزيد من الجدوى والنجاعة حتى تستجيب لمطامح المسرحيين المتنامية باطراد ، بالاضافة الى ما سيتلوها من تشريعات أخرى تضبط المهنة المسرحية إحكاما لسيرها تنظيما وانتاجا وتوزيعا ، ومن ترفيع فى التمويلات المرصودة وهو ما سيكفل للعاملين فى هذا القطاع المزيد من الدعم وهى عوامل سيكون لها الاثر البعيد فى انتعاش الحركة المسرحية وازدهارها سواء فى مجال الاحتراف أو الهواية . وكذلك على الصعيدين الجهوى والوطنى وفى القطاعات العامة والخاصة .

وبهذه المناسبة السعيدة يطيب لى أن أرحب بكل الضيوف من الفنانين المسرحيين والفنانات وأتمنى لهم اقامة طيبة فى بلدهم الثانى تونس وخاصة من قررت الهيئة المديرة للمهرجان تكريمهم وتتويجهم فى هذه الدورة الاولى .

وفى الختام لا يسعنى الا أن أتمنى لكم جميعا جني الثمار المرجوة من هذا اللقاء الثقافى ولاعمالكم المكثفة كل النجاح وللجنة التحكيم التوفيق فى عملها الصعب .

● التقرير العام للدورة الثانية للمجلس القومى للنشر :

التأمت الدورة الثانية للمجلس القومى للنشر المحدث بالامر عدد 748 لسنة 1979 من 6 الى 8 أكتوبر 1983 . وتولى الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية افتتاحه بكلمة توجيهية تضمنت أهم ما تم انجازه فى السنوات الاخيرة فى ميدان الكتاب من اعادة تنظيم توريد الكتاب ورفع الاحتكار فى التوريد عن الشركة التونسية للتوزيع واعفاء جل المواد الداخلة فى صناعة الكتاب من الآداءات القمرقية ودعم الورق الثقافى عن طريق صندوق التعويض وتغطية تكاليف شحن الكتاب التونسى الى الخارج بالتعاون بين الشركة التونسية للخطوط الجوية (بنسبة 70 %) ووزارة الشؤون الثقافية (الباقى المئوى) وتطوير الشراءات التشجيعية ودعم حركة التأليف والنشر وتحقيق التراث ببعث المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بالاضافة الى مواصلة اصدار مجلتى « الحياة الثقافية » و « الشعر » وبعث مجلة ثالثة نوعية تشرف عليها الوزارة بعنوان « فنون » والاسهام فى دعم بقية المجلات الثقافية بالبلاد ورصد اعتماد من ميزانية وزارة الشؤون الثقافية للاشهار الخاص بالمنشورات الثقافية التونسية ومزيد العناية بمعارض الكتاب بالداخل والخارج وتكثيفها قصد ترويج الكتاب التونسى .

كما تضمنت كلمة الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية ما ينبغى أن يستنبط من الدراسة التى اعدتها وزارة الشؤون الثقافية عن الكتاب بالتعاون مع المركز القومى للدراسات الصناعية من اقتراحات عملية لتطوير هذا القطاع وربطه بالدورة الاقتصادية للبلاد . حاضرا ومستقبلا . ضمن ما تمارسه تونس فى مجال التنمية الشاملة .

وحضر الاجتماع اعضاء المجلس القومى للنشر وجمع كبير من المثقفين المعنيين بالكتاب ، تاليفا وطباعة ونشرا وتوزيعا ومطالعة . ثم تفرع الاجتماع بعد الجلسة الافتتاحية الى خمس لجان عالجت جملة من القضايا انطلاقا من الدراسة المقدمة وما أفضى اليه النقاش الذى ساده الاهتمام والجدية . وهذه اللجان هى :

ـ لجنة النشر ـ لجنة الطباعة ـ لجنة التوزيع ـ لجنة الاشهار ـ لجنة الابداع وحقوق التاليف .

وقد استخلص التقرير العام لهذه الدورة من مجموع تقارير اللجان المذكورة ، وتضمن توصيات عامة وتوصيات خاصة بكل قطاع من القطاعات ليقدم الى الجلسة الاختتامية التى تفضل السيد محمد مزالى ، الوزير الاول بالاشراف عليها بتاريخ 8 أكتوبر 1983 .

التوصيات العامة :

ـ يعبر المجلس القومى للنشر عن ارتياحه للاتجاه العلمى المتمثل فى اعداد دراسة ميدانية اقتصادية عن الكتاب فى مستوى الطباعة والنشر والتوزيع .

ـ ينبه الى أهمية الدراسة التى اضطلعت بها وزارة الشؤون الثقافية بالاعتماد على المركز القومى للدراسات الصناعية ، ويلاحظ أن هذه الدراسة قد تناولت أهم المسائل المتعلقة بالكتاب طباعة ونشرا وتوزيعا ، وان تركزت بالخصوص على الطباعة والنشر .

ـ يلاحظ أن الدراسة قد أبرزت أهم المعطيات المتعلقة بقطاع الكتاب الثقافى بصفة يقع انجازها سابقا وانتهت فى أغلب الحالات الى اقتراحات وتوصيات عملية ولو بقيت بعض الجوانب تحتاج الى مزيد من التدقيق والتعمق .

ـ يدعو للعمل على اعداد دراسة « تكميلية » للدراسة المقدمة من قبل المركز القومى للدراسات الصناعية تحت موضوع الانعكاس الحقيقى لصناعة الكتاب على الاقتصاد الوطنى وتبين الآفاق الممكنة لذلك .

ـ يوصى بانشاء لجنة قارة تنبثق عن المجلس القومى للنشر وتتمثل مهمتها فى معالجة قضايا الكتاب وتقديم الاقتراحات اللازمة للمجلس .

ـ يقترح بعث ناد للكتاب يجتمع فيه المؤلف والطابع والناشر والموزع والقارىء لتداول النظر فى قضايا الكتاب .

● خطوة جديدة فى دعم الحوار العربى الاوربى :

فى اطار نسج الارضية الصلبة لقيام تقاليد ثابتة للحوار العربى الاوربى ومواصلة للدور العربى فى هذا السياق والذى بدأ فعليا بندوة الحوار بين الحضارة الغربية والحضارة العربية الاسلامية الذى احتضنته مدينة هامبورغ فى شهر افريل الماضى والذى اشرفت على تنظيمه لجنة من الادارة الثقافية لدول السوق الاوربية المشتركة والامانة العامة لجامعة الدول العربية والمنظمة

العربية للتربية والثقافة والعلوم ، فزار تونس مؤخرا الدكتور «بيتر بلانشتاين» مدير عام معهد العلاقات الدولية فى بون بدعوة من الدكتور محيى الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية ، وقد أجرى الضيف الالمانى مباحثات مع المسؤولين فى الجامعة العربية وعلى رأسهم السيد الامين العام ·

وان التعاون المستقبلي بين الجانبين يتطلب وضع برنامج شامل يأخذ فى الاعتبار الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والاعلامية .

وتتلخص المقترحات العملية الممكنة التنفيذ بدءا من السنة القادمة والتى قدمتها المنظمة فيما يلى :

1 ـ نـدوة ثقـافية :

تقام ندوة مصغرة فى السنة القادمة 1984 لمدة ثلاثة أيام فى مدينة بون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومعهد العلاقات الدولية ببون أما المواضيع فستجدد بالاتفاق والتشاور بين الجانبين وقبل موعد الندوة الذى يتم تحديده فيما بعد بستة أشهر يكلف ثلاثة باحثين عرب وثلاثة باحثين ألمان بوضع ست دراسات متقابلة حول المواضيع المختارة .

ومن المتوقع اقامة معرض ثقافى ببون مرافق لهذه النـدوة يكـون بمثـابة تظاهرة ثقافية مثيرة للاهتمام تساعد على تعريف أبنـاء الشعب الالمـانى على المظاهر الثقافية العربية .

2 ـ برنـامج ترجمـة :

ان القيام بعمل مشترك فى نطاق برنامج للترجمة كترجمة روائع فكرية وأدبية من اللغة العربية الى اللغة الالمانية سيساعد على تصحيح الصورة التى يحملها الشعب الالمانى عن العرب ماضيا وحاضرا .

3 ـ تعليـم اللغـات :

سيتم الاتفاق على وضع برنامج لتعليم اللغة العـربية فى بعض مـدارس المانيا الاتحادية وستساعد المنظمة هذا المسعى بتأمين مدرسين وكتب .

● **نادى الينسكو والالكسو :**

بمناسبة الاحتفال بالسنة العالمية للطفل 1979 توصلت جهود أعضاء النادى ـ خلال أربع سنوات مدعومة ماديا من طرف منظمة الينسكو ـ الى اصدار « حكايـات وأسـاطير تـونسية » باللغتين العربية والفرنسية ضمن سلسلة

« الاطفال يحكون للاطفال 1983 » في ورق صقيل وخطوط جميلة محلاة بصور توضيحية .

وانه لجهد يذكر فيشكر وياحبذا لو يتواصل إصدار مثل هذه الاعمال الادبية التي تخدم ثقافة الطفل من ناحية وحفظ التراث القصصي الشعبي من ناحية ثانيه .

وهذه مناسبة أتيحت لنا لنعلم قراءنا الكرام وأحباء نادي الينسكو والالكسو وكافة منخرطيه بأن النادي قد غير عنوان مقره الاجتماعي حيث انتقل الى دار الجمعيات الثقافية عدد 62 نهج عاشور ـ تونس 1006 .

● **فرقة الالحان العربية والشبيبة الموسيقية التونسية :**

أقامت الفرقة والشبيبة أمسية ثقافية حضر فيها اللحن الشجي وتكلمت فيها المعزوفات العربية والتقاسيم الاصيلة ولم تغب عن الامسية القصائد من انتاج الفرقة .

كل ذلك كان في مركز الفن الحي بالبلفدار يوم السبت 26 نوفمبر 1983 مساء .

● **الابستملوجيا :**

العدد رقم 38 من « **الأخلاء** » يحمل عنوانا فلسفيا هاما لتلاميذ البكلوريا وهو : « **الابستملوجيا** » في 240 صفحة من القطع الظريف تأليف الاستاذ الشاذلي الساكر .

ولا تقتصر فائدة هذا التأليف القيم على تلاميذ البكالوريا بل يجد فيه طلبة اقسام الفلسفة وأساتذتها معينا لا ينضب .

كما يجد المختصون في البحوث اللغوية بحثا طريفا استهل بـه الشاعر الصادق شرف « كتاب الابستملوجيا » بعنوان : « **هل للكتابة دور في تطور الفكر العربي ؟** » عالج فيه قضية كتابة الكلمات الدخيلة بشيء من الجرأة ترج المفاهيم السائدة وتزعزع المعتاد .

● **صورة المرأة في وسائل الاعلام :**

انتظمت بتونس ندوة إقليمية حول « صورة المرأة ومشاركتها في وسائل إعلام الدول العربية » وذلك بتونس خلال أيام 4 و 5 و 6 أكتوبر 1983 .

وقد حظي هذا الموضوع بعناية جدية ومتجددة من قبل منظمة الاتحاد النسائي التونسي بقيادة رئيسته السيدة فتحية مزالي وبتوجيه متواصل من لدن

المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبه ومساهمة المنظمات الدولية ونخص بالذكر منها منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة .

وقد حضر هذه الندوة عدد كبير من الوفود العربية النسائية . وقد ألقى الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية في حفل الافتتاح كلمة قيمة سننشرها مستقبلا .

● **ندوة فكرية حول المسرح :**

في مركز الفن الحي بالبلفدار وبتاريخ 1983/11/8 نظم المسرح الوطني التونسي باشراف وزارة الشؤون الثقافية في نطاق الدورة الاولى لأيام قرطاج المسرحية ندوة فكرية حول : الانتاج المسرحي في البلدان النامية (الواقع والآفاق) وقد ألقى في حفل الافتتاح الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية كلمة في الوفود الحاضرة من مختلف البلاد العربية . أشار فيها الى أهمية مثل هذه الندوات واللقاءات لتبادل الآراء حول أوضاع الانتاج المسرحي ..

وهي مناسبة خلقتها السنة الحميدة التي تتبعها تونس منذ أكثر من عشرين سنة لتخليد ذكرى الخطاب المنهجي الذي تفضل بالقائه بتاريخ 1962/11/7 المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبه الذي خصصه لما ينبغي أن تقوم عليه الحركة المسرحية في بلادنا حتى تحقق للمسرح وللمجتمع تفاعلا واعيا لمقتضيات الازدهار والتطور الحضاري .

● **ملتقى محمد المرزوقي :**

انطلقت يوم الجمعة 83/11/25 بدار الثقافة بدوز الدورة الاولى لملتقى محمد المرزوقي واثره في دراسة الادب الشعبي وتضمن برنامج اليوم الاول بداية من الثالثة بعد الظهر الدراسات التالية :

- الشعر الشعبي مصدر للتاريخ من خلال مؤلفات المرزوقي محاضرة الاستاذ رياض المرزوقي .

- الشعر الشعبي اغراضه واوزانه من خلال الادب الشعبي للمرزوقي محاضرة الاستاذ محيي الدين خريف .

- الملحمة والسيرة الشعبية في كتب المرزوقي محاضرة الاستاذ الطاهر قيقة .

ـ العروبة والاصالة فى أدب المرزوقى محاضرة الدكتور المنصف المرزوقى.

وقد القى الاستاذ البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية كلمة فى افتتاح هذا الملتقى أبرز فيه أهمية الموضوع واقترانه بفقيد الادب محمد المرزوقى .

● **تكريم مصطفى الفارسى :**

تكريما لرجالنا العاملين وتقديرا لمفكرينا الافذاذ أبت دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع إلا أن تنظم حفل تكريم على شرف الاخ مصطفى الفارسى بمناسبة احرازه على جائزة «لوتس» الادبية لاتحاد كتاب آسيا وافريقيا ، وتوسيمه بهذا الوسام الثقافى العالمى الذى تحصل عليه ولاول مرة فاز به كاتب من بلاد المغرب العربى الكبير .

وقد أقيم حفل بهيج حضره عدد من المثقفين ورجال الادب والاعلام ، وذلك يوم الجمعة 25 نوفمبر 1983 .

● **دار الثقافة ابن خلدون :**

خلفا للاديب سمير العيادى عين الاديب محمد مصمولى مديرا لدار الثقافة « ابن خلدون » بعد أن كان أدار بنجاح ـ خلال الموسم الثقافى الفارط ـ دار الثقافة « ابن رشيق القيروانى » .

تهانينا للزميل محمد مصمولى ـ الذى هو خير خلف لخير سلف ـ وتمنياتنا له بالتوفيق فى خدمة الميدان الثقافى وتنشيط هذه الدار التى عرفت بكثافة جمهورها إبان التظاهرات الثقافية .

● **معهد العلاقات الدولية والتعاون العربى المشترك :**

يعتبر معهد العلاقات الدولية منظمة ألمانية خاصة تعمل منذ أكثر من 30 سنة فى مختلف مجالات التعاون الدولى .

ويتسم هذا المعهد بطابعه الخيرى اذ لا يجوز تبعاً لقانونه التأسيسى أن يحقق ربحا وتدعم هذا المعهد شخصيات بارزة كرست نفسها منذ سنوات عديدة لخدمة فكرة التفاهم والتعاون الدوليين . كما يلاقى عمل المعهد ـ بغض النظر عن طابعه الخاص ـ دعما من قبل الحكومة الاتحادية الالمانية ومن قبل سياسيين ذوى اتجاهات مختلفة .

ولقد أولى المعهد أهمية خاصة للتعاون مع العالم العربى ومنذ الخمسينات والستينات ما فتىء المعهد ينفذ برامج تبادل بين منظمات الشبيبة واتحادات

الاساتذة والصحفيين فى المملكة المغربية والجمهورية التونسية والجمهورية الجزائرية .

ولقد أصبح التعاون مع الدول العربية احدى المهام الاولى للمعهد عام 1978 ، وذلك اعتقادا منه بأن صوت العالم العربى يجب أن يسمع بشكل اقوى فى الاوساط الالمانية .

● **اجتماع مجلس ادارة الصندوق العربى لمحو الامية وتعليم الكبار :**

فى افتتاحه للدورة الثالثة لاجتماع مجلس الادارة للصندوق العربى لمحو الامية وتعليم الكبار الذى انعقد يومى 28 و 29 جويلية 1983 بمقر المنظمة ، نوه الدكتور محيي الدين صابر بالدور الجليل المناط بعهدة الجهاز العربى لمحو الامية وتعليم الكبار وذكر انه ليس بحاجة للتحدث عن ظاهرة الامية وخطورتها فى فرط التعامل مع هذه المشكلة التى تعد من أمهات المشكلات الحضارية اذ هى مشكلة عويصة وصعبة المراس مما جعل الكثير يعتقدون بانها من القضايا الميؤوس منها ويفقدون الايمان والقدرة على مواجهتها وأن استطاعت بعض الدول التى هى أقل من الدول العربية شأنا التغلب عليها .

وقد بحث جدول الاعمال عدة عناصر منها :

- الاطلاع على قرارات الدورة الثانية للصندوق : تقرير امانة السر التنفيذية عن أعمال الصندوق والاجراءات المتخذة لتنفيذ قراراته .

- تقرير لجنة تشجيع مساهمات الافراد والمؤسسات وتوجيهات عمل الصندوق للدورة الثالثة .

● **الموسوعة الفلسطينية عمل تاريخى ضخم لاجل الارض والهوية :**

من الانجازات الثقافية الهامة التى ستشهدها الاشهر الاخيرة من السنة الحالية والتى سيكون لها تأثير كبير فى دعم القضية الام للعرب ثقافيا وحضاريا من هذه الانجازات الموسوعة الفلسطينية التى أنجزت ببادرة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية وبدعم مالى من المملكة العربية السعودية ، وهذه الموسوعة ستكون أول موسوعة تقدم كل المعطيات والحقائق عن فلسطين الشعب والحضارة والتاريخ وهى ستفند للرأى العام العالمى ادعاءات الصهيونية القائمة على اعتبار الشعب الفلسطينى شعب الانبتات والضياع والبعد عن الجذور ، وبذلك يكون صدور الموسوعة الفلسطينية فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ القضية العربية خطوة هامة فى طريق الجهاد العربى نحو استرجاع الحق الفلسطينى واسترجاع الارض والهوية .